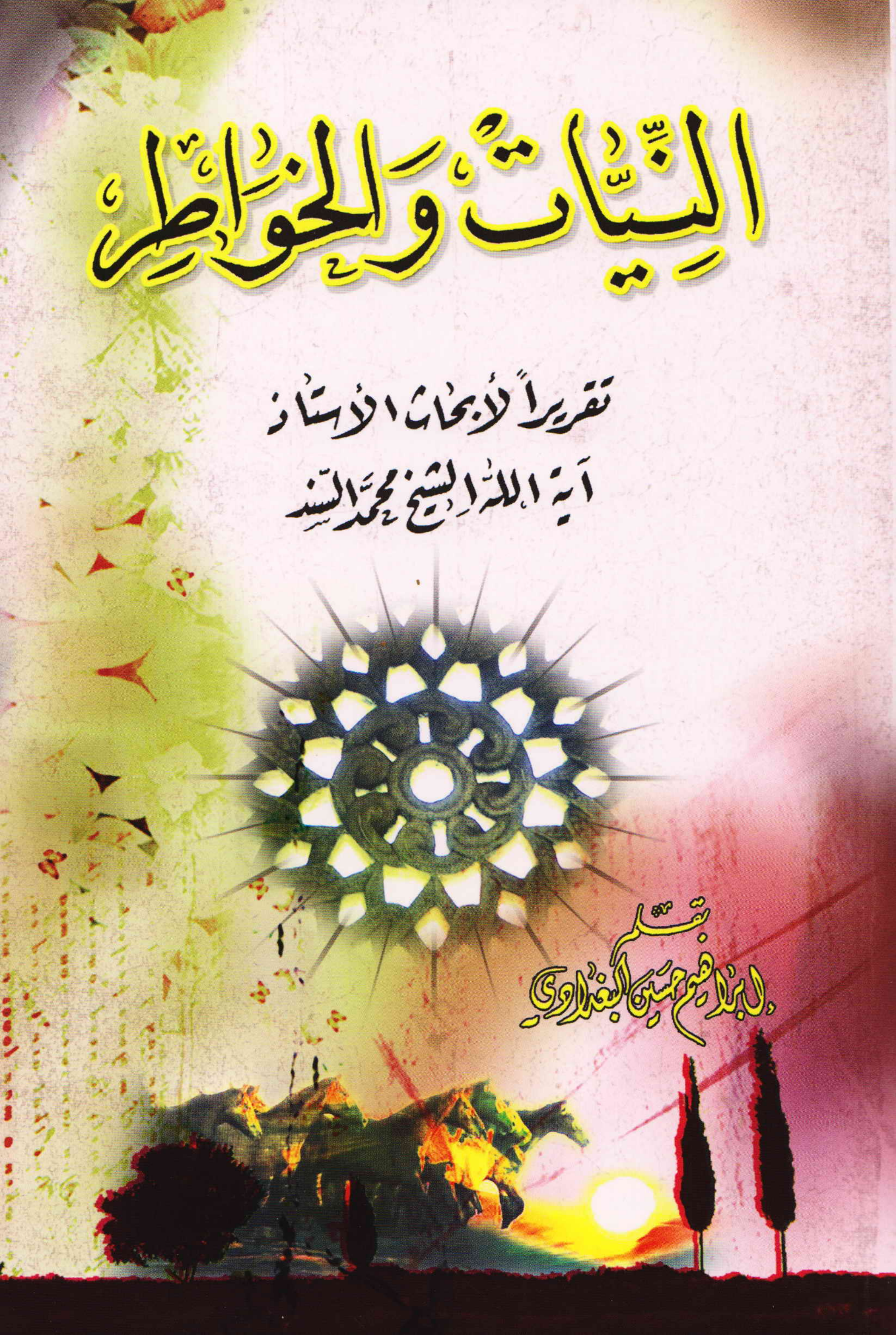

النيات والخواطر
تقريراً لأبحاث الأستاذ
آية الله الشيخ محمد السند
بقلم
إبراهيم حسين البغدادي



النيات والخواطر

تقريراً لأبحاث الأستاذ
آية الله الشيخ محمد السند

بقلم
ابراهيم حسين البغدادي



الكتاب:......................النيات والخواطر

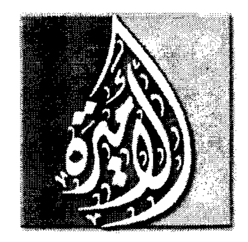
تقريراً لأبحاث...........المحقق آية الله الشيخ محمد السند (دام ظله)

بقلم:.........................إبراهيم حسين البغدادي

الطبعة:............................... الأولى

سنة الطبع:........................ ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الأخراج الفني: محمد الخزرجي



للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٤٧١٥٥١٠

http://www.Dar-Alamira.com

e-mail:info@dar-alamira.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم من الأولين والأخرين الى قيام يوم الدين .

وبعد...

إن هذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها سماحة آية الله الأستاذ الشيخ محمد السند (دام ظله) عند حج بيت الله الحرام وزيارة النبي والآل (صلوات الله عليهم). وقد بحث سماحته مبحث النية بشكل دقيق ومفصل بالنسبة إلى أثارها على الفرد والمجتمع في كلا الدارين ـ الدنيا والآخرة ـ، لما لها من أهمية على نفسية العبد أتجاه ربه في كل مجالات الحياة، سواء كانت نظرية أو عملية. ولذلك فإن النية لها

أرتباط بالدعاء، وبالتبري والتولي، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلاً عن العبادات الأخرى بل لها أرتباط حتى بالتواضع والتوكل وعموم المسيرة الأخلاقية للإنسان، بل والمسيرة الأعتقادية كمعايشة وجدانية وقلبية، فإن دقة الخاطرة والنية تجعل الروح طاهرة كطهارة ثوب البدن، أو تكون ملوثة كتلوث الدابة أثناء علفها . فإذا كانت طاهرة فتتقبل بمحبة ووداد للرب تعالى وصرنا مع الله كالمحب والمحبوب والواد والمودود، وأما إذا كانت ملوثة فتصبح كقابيل من هابيل.

إن أساس الأعمال هي النية والخاطرة في الذهن قبل العمل، ومن ثم تجعل الإنسان إما أن يقيم دائماً في المقامات العالية من كمالات النفس، كما حدث هذا مع أبي الفضل العباس عليه السلام في واقعة الطف، والتي كانت ـ واقعة الطف ـ مجموعة من الخواطر والنوايا الحسنة التي تمثلت بأصحاب الحسين عليه السلام ـ كالحر ـ وأهل بيته، أو نوايا وخواطر سيئة التي تمثلت بحزب بني أمية وأشياعهم المطرودين عن رحمة الله تعالى أبد الأبدين.

هذا ماتجده ـ عزيزي القاريء ـ بين طيات هذا البحث من خلال دراسة فلسفة النية واثارها السلبية والأيجابية.

وفي الختام: اسأل الله عز وجل أن يحفظ شيخنا الأستاذ وأن لايحرمنا من علومه العذبة، واسأل القاريء اللبيب الإغماض عن ما في هذا البحث من الأشتباهات الصادرة غفلة مني.

٣ رجب الأصب

وفاة الإمام علي بن محمد الهادي ١٤٣١ هـ

إبراهيم حسين البغدادي

الخاطرة والخواطر هي التي تمر على الإنسان في صفحة ذهنه، وإن الإنسان ربما قد يستهين بالخاطرة والنية مع أنهما لهما بالغ التأثير على الإنسان، ومن الطبيعي أن بحث الخاطرة والنية بحثها الفقهاء وبحثها المتكلمون، وبحثها المفسرون، وبحثها الفلاسفة، وبحثها كثير من علماء العلوم الإنسانية والمعارف.

مع دعاء كميل

الآن مثلاً لو نظرنا إلى فقرات دعاء كميل فإن التعبير فيها دقيق عن تلك الحالات (اللهم إني أسألك سؤال مؤمل لرحمتك) أو التعبير فيها (اللهم إني أسألك سؤال خاضع متذلل خاشع) فالسؤال قد يصدر بتعنت من الإنسان ومن سخط ـ والعياذ بالله ـ على ربه، وقد يصدر من حالة خشوع وتذلل، وقد يصدر السؤال من اليأس من الإنسان أو سوء ظن أو أياس، وهذه الحالات التي سنبيّنها أنشاء الله هي حالات نفسية مرتبطة بالخاطر ـ خاطر الإنسان ـ فإن الإنسان لما يسأل السؤال من رعونة أو تعنت حينئذ يكون هذا السؤال ـ العياذ بالله ـ غطرسة، فبدل من أن يكون الدعاء عبادة سوف يكون فرعونية على الله ﷻ، كما في أبليس

(لعنه الله) حيث عَبَدَ الله ﷻ ستة آلاف سنة، حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة القاصعة: (فأعتبروا بما كان من فعل الله بأبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد، وكان قد عَبَدَ الله ستة آلاف سنة، لا يدرى أمنْ سني الدنيا أم سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد أبليس يسلم على الله بمثل معصيته)[1].

فإن الكثير يظن بأن طقوس العبادة هي من لحاظ الشكل البدني، كلا فإن طقس العبادة أو شكل العبادة أو حقيقة العبادة ليست بالشكل بالبدني، أو باللحاظ البدني بل بلحاظ الخاطر والحالة النفسية.

(أسألك سؤال مؤمل) أما سؤال متعنت، سؤال رعونة أو أعتراض وأستنكار فهذه لا تكون حينئذ حالة داعي وعابد، إذن الحالة النفسانية والخاطرة مؤثرة جداً، (لأن تركتني ناطقاً لأصرخن إليك صريخ مؤمل لرحمتك)، في قبال صريخ وصراخ واعتراض وبغض ونفرة وإستنكار،

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١٣: ٧٨.

وهذا هو البطر على رب العزة وجرأة وتهتك وهو في جهنم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.[١]

ويوجد في النار الكثير من تلك المعادن ـ والعياذ بالله ـ التي تستصرخ الله ﷻ، صراخ أستعلاء على رب العزة فلو ننظر في الآيات الكريمة ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[٢] فالأنكسار والخضوع حالات عبودية، ونحن كثيراً ما نستسهل ونستصغر ونستهين بحالات هي لب العبودية وثمرة الطاعة لله ﷻ، فمراقبة مثل هذه الحالات في النفس والنية والخاطر مهم جداً.

ما هي الخاطرة

الخاطرة هي عبارة عن فعّالية نفسية وهي ثمرة كبيرة لشجرة النفس، فإذا كانت خواطر الإنسان خواطر حنظل وخواطر سوء أو معاصي أو غيرها من الخواطر السلبية، فسوف تكون هذه الشجرة أي شجرة النفس

---

(١) ص: ٦٤.

(٢)الأنعام: ٤٢.

ومعدن النفس وعين النفس لا ترفد ولا تزبد ولا تضخ إلا ما هو مر أو ما هو حنظل.

فإذن الخاطرة نبتة تنبت في أرض النفس، ورشحة من رشحات النفس، فيجب علينا أن نكون دائماً يقظين وملتفتين إلى خواطرنا.

فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: أن الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة[١].

وفي رواية أخرى أيضاً عن الأمام الصادق عليه السلام – في حديث – والنية أفضل من العمل، ألا وان النية هي العمل، ثم تلا قوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) يعني على نيته.[٢]

وفي اخرى: من حسنت نيته زاد الله في رزقه.

اذن حسن النية تجلب الرزق وتزيده أيضا.

---

(١) الوسائل ج١: ٥٤ الباب (٥) من وجوب النية في العبادات الواجبة، ح: ٥

(٢) الوسائل ج١: ٥٦ الباب (٦)، ح:٥.

وعن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: اني سمعتك تقول: نية المؤمن خير من عمله، فكيف تكون النية خيراً من العمل؟ قال: لأن العمل ربما كان رياءً للمخلوقين والنية خالصة لرب العالمين، فيعطي عزوجل على النية مالايعطي على العمل.[١]

الفرق بين النية والخاطرة

إن الفرق بينهما هو أن الخاطرة تأتي صورة في صفحة النفس ـ شاشة التلفزيون للنفس ـ لكن إذا أشتد تعلق الإنسان بالخاطرة شيئاً فشيء تصبح الخاطرة نية إذا بنى عليها وعزم عليها.

وقد يقول قائل إذا كانت النية معفواً عنها ولا يؤاخذ عليها الإنسان فلماذا نشدد على خطورة الخاطرة؟

نعم هذا الكلام صحيح ولكن أولاً ليست كل نية مغفورة وليس كل مغفور عديم الأثر، فلدينا في الروايات أن النية إذا تابعها الإنسان وبنى

---

(١)المصدر السابق: ح:١٥.

على إعداد الأرضية للعمل الذي نواه إلى آخر المطاف وإن لم يقع حينئذ في المعصية أو الفعل القبيح فهذه النية يؤاخذ عليها الإنسان.

فعن الإمام الصادق‰:(إنّ الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة)[١].

وعنه أيضاً: (إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: [قل كل يعمل على شاكلته] قال: على نيته)[٢].

وغير ذلك من الروايات، فإذن لدينا روايات أن النية يؤاخذ عليها، وتوجد روايات أن النية معفو عنها، والجمع بين هاتين الطائفتين من الروايات كما أستخلصه العلماء أنه إذا تُتابعها وتنجر معها ولو لم تقع أنت في المعصية ولكن في النهاية عايشتها وسايرتها وأنجررت معها وإليها

---

(١)المحاسن ج١: ٤٠٩، ح: ٩٢٩.

(٢)الكافي ج٢: ٨٥.

هنا تؤاخذ عليها. هذا مع أن مجرد النية لو أحدثها الأنسان في نفسه وتشوق إلى فعل المعصية والقبيح فهي نوع من التمرد والطغيان والجرأة على الباري تعالى فاذا أنكفأ الإنسان بعد ذلك فسوف يعفى عنه.

آثار النية المعفو عنها

إذن ليست كل نية معفواً عنها، بل حتى المعفو عنها من قال كل معفو عنه لا أثر وضعي له، نعم معفو عنها بلحاظ الآخرة فلا تعذب أو تعاقب عليه في القبر أو ما شابه ذلك. وأما الأثار في الوضع الدنيوي فيتأثر سلبيا.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إنما قدّر الله عون العباد على قدر نياتهم، فمن صحت نيته تم عون الله له، ومن قصرت نيته قصر عنه العون بقدر الذي قصر)[1]. وفي هذه الرواية الشريفة سر أعجازي كبير وهو أن أبرام المقادير الآلهية والقضاء المحتوم يتوقف على شاكلة نية الانسان وحجم تلك النية بحسب حجم همته فان العزائم الآلهية تأتي على قدر

---

(١)البحار ج٧٠: ٢١١ / ٣٤.

همم الرجال، وهذا الترابط بين الفعل النفساني للانسان وهي نيته مع الفعل الآلهي يشير اليه الحديث النبوي ايضاً في قوله صلى الله عليه واله: تفائلوا بالخير تجدوه[١]. فبصنع الانسان لنيته تصطنع له المقادير، فنية كل أمريء حظه من قدره.

وعن الإمام علي عليه السلام قال:(إن المؤمن لينوي الذنب فيحرم رزقه)[٢]، وفي رواية أخرى: (عند فساد النية ترتفع البركة) وفي أخرى: (من أساء النية منع الأمنية)[٣].

فلو نظرنا إلى أول دعاء كميل لوجدنا أن هناك عدة أقسام من الذنوب ذكرها الإمام علي عليه السلام:(اللهم أغفر لي الذنوب التي تهتك العصم. اللهم أغفر لي الذنوب التي تنزل النقم. اللهم أغفر لي الذنوب التي تغير النعم. اللهم أغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللهم أغفر

---

(١) ميزان الحكمة، ج٨، ٣٤٢٠.

(٢) الوسائل، ج١: ٥٨، الباب (٧)، ح:٤.

(٣)غرر الحكم: ٨٣١١ - ٨٣١٤.

لي الذنوب التي تنزل البلاء. اللهم أغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء. اللهم أغفر لي كل ذنب أذنبته وكل خطيئة أخطأتها).

فنلاحظ أنها تهتك العصم، تنزل النقم، تغير النعم، تحبس الدعاء...، فهي آثار أخرى غير الآثار الآخروية.

فأيضاً هذه النيات المعفو عنها لها تلك الآثار، تحرمك من الرزق، تحرمك من توفيق إلى كمال آخر إلى درجة أخرى وهكذا.

وبعبارة أخرى، لما يقال معفواً عنه ماذا تعني؟ يعني هو شيء قبيح، شيء بغيض لله ﷻ، غاية الأمر أن الله يعفو عن عباده. إذن كونه معفو عنه لا يعني أن لونه أبيض، بل معفو عنه يعني كون لونه أسود. إذن لماذا الإنسان يقع في حضيض السواد والإسوداد. لذا فالنية لها تأثير كبير جداً، ففي بعض الروايات عن الامام علي عليه السلام: ماأضمر أحد شيئاً الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه[1].

وفي رواية أخرى أنه قال: أعلم أن لكل ظاهر باطناً على مثاله ، فما طاب ظاهره طاب باطنه ، وما خبث ظاهره خبث باطنه ، وقد قال

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة٢٦.

الرسول الصادق ﷺ: ان الله يحب العبد ويبغض عمله ، ويحب العمل ويبغض بدنه[1].

إذن النية هي نفسها موجودة، ولكن المشكلة نحن لا نتحسس مع الجوانح بأنها موجودات، فالأفعال الجانحية هي موجودات ولكن نفكر أنها هواءاً هباءاً منثوراً، والحال أن هذه الفعاليات الروحية تكاثر تحذير القرآن الكريم والنبي العظيم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام بأهميتها وخطورتها. وفي العصرالحديث العلوم التجريبية الروحية كعلوم الروح الغربية تثبت أن هذه الفعاليات للروح ـ كالخاطرة والنية ـ هي أشد طاقة وكتلة طاقية من أفعال البدن، فحركة اليد والرجل واللسان أو ما شابه ذلك هي موجودة في نشأة أثيرية ذات طاقة مؤثرة.

المحسوس وغيرالمحسوس

لكن المشكلة الكبيرة إذا نوى الإنسان بأعتبار بعده المادي المدهوش به فلا يتحسس إلا ما هو غليظ، اما ما هو لطيف لا يتحسسه ولا يقيم له وزناً، فالطاقة الكهربائية مثلاً مع أنها بنفسها لا تلحظ ومع أن كل الحياة المعاصرة الكثير ومنها أو أغلبها يعمل على الطاقة الكهربائية، والطاقات

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٤.

كلها هي أصلاً مدار حركة الحياة عليها مع أنها غير محسوسة. فالمحسوس ما هو إلا قشر متكثف من الطاقة وليس له دور فاعل في الحياة، وكذا الآن نعاصر في دار الدنيا القنبلة النووية وغيرها من الطاقات الساكنة والطاقات غير الساكنة، بل هناك أنواع موجودة الآن في الفضاء وفي الكون هي كلها غير مرئية.

إذن الموجودات المهولة في التأثير أكثرها أو كلها غير مشاهدة بالحس. وأن ما يخفى عن الحس في الواقع هو أشد تأثيراً مما يحس، لكن المشكلة طبيعة الإنسان أنه يغفل دائماً عن غير المحسوس، والحال أن غير المحسوس هو أكثر تأثيراً في مصير الإنسان ومستقبله الدنيوي وكذلك الأخروي أكثر، ولذا هذه القاعدة الشريفة العظيمة المروية عن طريق الفريقين: (إنما الأعمال بالنيات)، أي قيمتها هي بالنيات نظير مايقال شرف المكان بالمكين . فإن تعبيره ﷺ - إنما الأعمال بالنيات - ليس تعبيراً فيه إغراق أو تجاوز عن ترسيم الحقيقة، لأنه ﷺ يريد من تعبيره أن يرسم لنا حد الحقيقة أن أصل وعمدة الأعمال قوامها بالنية، وكذلك الخاطرة أو الخاطر فله دور تأثيري كبير في حياة ونفسية الإنسان، فمثلاً لما نقول نحن أحياء ما علامة حياتنا، أليس الحركة والآثار الصادرة من البدن،

والشعور، والإدراك؟! فإذا كان شعورنا وإدراكنا محبوس على هذه المساحة وهي التي في الواقع حقيقتها البدن وهو لا حياة ذاتية له، كما يقولون حياته بالروح، وإذا كانت الروح مشدودة ومحبوسة على إدراك البدن وتغفل الروح عن نفسها، وعن نفس الأفعال التي تأتي بها، كأنما الروح أماتت نفسها عن الصعيد العالي وتركز فقط على بث الحياة، بث الإنتشار، بث الموجات، على الصعيد الداني وتترك بث موج الحياة على الصعيد العالي وتركز فقط على: ﴿رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1].

إن هذا التعبير القرآني لما يقول: ﴿رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ يعني في دار أنت يمكن لك أن لا ترضى بالحياة الدنيا وتتعايش دوما مع الحياة العليا، التي هي حياة الآخرة وحياة الجنان، وذلك بتوسط التركيز والإنشداد إلى عالم الروح أو إلى أفعال الروح.

---

(١)يونس: ١٠.

الجوانح والجوارح

في دعاء كميل: (وأشدد على العزيمة جوانحي)، فالجانح إما فعل نفساني أو قوة نفسانية، وجنح إلى الشيء أي مال إليه، فالجانح يعني الميل النفساني. ولهذا سميّ بالجانح، بينما الجوارح سميت جوارح أي فعل من أفعال البدن، أو نفس أعضاء البدن تسمى جوارح، والأفعال التي تصدر منها تسمى أفعال جارحية، فـ (أشدد على العزيمة جوانحي) يعني الميل النفساني إذا صار على الأمور الصالحة، يشتد فيصير عزيمة.

إذن أفعال الروح والنية والخاطرة هي الميول، فإذا جعلت لديك دائماً برج مراقبة سترى العداد أو مؤشرك إلى أي أتجاه يميل، وإلى أين روحك منشدة. فإذا كانت ميوله منشدة ـ لا سامح الله ـ إلى الأفعال القبيحة أو إلى شيءٍ أشد من الأفعال القبيحة، كمعارف سوء الظن بالله مثلاً هذا فوق الأفعال. فالنية والخاطر لها تقسيمات، ففعل السوء سوئه أدنى من سوء خاطر الصفات، وسوء خاطر الصفات سوئه أقل من سوء خاطر الأعتقادات.

سوء الظن

فإن الفقهاء تقريباً أفتوا بذلك كلهم، وحتى علماء الأخلاق، أن سوء الظن بالله من الكبائر. قطعاً أن كل واحد منا مر بسوء ظن بالله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[١].

لا يمكن لأحد أن يبرئ نفسه أن النفس لأمارة بالسوء، ما معنى سوء الظن بالله؟

يعني تستاء مما يقدره الله لك، يعني تظن بالله السوء كما يقول الله في القرآن: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾[٢]، مع أنه من الكبائر لماذا؟ لأن خاطر السوء ليس يتعلق بالأفعال الحزينة كأفعال البدن وأفعال النفس، ولا بالصفات النفسانية فقط، بل يتجاوز ويرتقي إلى سوء الأعتقادات، وقد يجر سوء الظن بالله إلى الكفر بالله، أنظر إلى خطورة الخاطر، سيطرة

---

(١)يوسف: ٥٣.

(٢)الفتح: ٤٨.

الشيطان على الإنسان من هذه الجهة، فإنه يراقب خواطرنا وأفعالنا الإنسانية، وهو يعرف كيف يؤجج خواطر السوء فينا، ونحن لا نلتفت إلى خواطر السوء بل نلتفت دائماً إلى الأبدان، أي منشدين إلى الحس فلا نلتفت هذا هو الفرق، قد وضع الشيطان فيها السم بأعتبار أن الإنسان لما يكون متلاحم مع حالاته النفسانية لا يلتفت لحالته النفسانية بل يذوب فيها فيلتفت فقط إلى بدنه: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾[1].

فهو يضخ ويزق حينئذ خواطر السوء بسوء الظن بالله عبر الحديث النفساني.

وساوس الشيطان

إن أحد مصادر خواطر السوء هو حديث الجن يعني أبليس، فإن الجن والشياطين موجود لطيف لا نسمعه بهذه الأذن اللحمية، له طبيعة ذبذباته لطيفة – خفية –، فالخاطر الذي يأتي الى مخيلة النفس ليس هو تمثال مرسوم. بل الخاطر الذي يأتي في صفحة النفس كثيراً ما هو الا

---

(١)الاعراف: ٢٧.

عبارة عن ذبذبات لأصوات لطيفة – خفية – تسمعها الروح، أو بعبارة أخرى يسمعها البدن الروحي لا البدن اللحمي، مثلاً تأثير السحر لماذا الساحر يستطيع أن يؤثر بين المرء وزوجه، أو بين المرء وأرحامه وتلهب صراعات ونيران، ويلهب الكثير من العداوات والأحقاد، وأكثر السحر يكون بتوسط تسخير الجن والشياطين فماذا يصنعون؟

يزرقون ويضخون خاطر السوء، يسمعوك خاطر السوء وأنت تأخذه كبديهة، وأنت غافل تأخذه كمسلّمة وحقيقة واقعية، وهو كذب فيدخل عليك رحمك أو صديقك أو زوجتك أو الزوجة يدخل عليها الزوج فينفث الشيطان عليها أو على قلبها أو على أذنها معنى معين كأن يذكرها الأساءة التي صدرت من الطرف الأخر أتجاهها، أو قباحة معينة فيه فيشغل ويوغر صدرها بالكراهية لاسيما مع التركيز وتكرار ذلك المعنى، فأنت لا تحس أن هذا ليس من ذاتك بينما هو موجود آخر يكلمك، يلقنك، يزرقك، وأنت تظن من ذلك أن روحك هي التي تملي عليك هذه الحقائق في حين هي أكاذيب وزوائف. ولذلك الذين عندهم مراقبة شديدة للنفس يمكنهم أن لا يؤثر فيهم السحر، ولا يؤثر فيهم وساوس الشياطين، لأنهم متحكمين في الخاطر بقوة. وقد يأتيك خاطر معين فيقول

هذا عمل معك هذا الفعل كي يهينك فيسيء لك الظن بالطرف الأخر، وأنت تأخذها بأنها مسلّمة، وهذه خاطرة ولكن هذه الخاطرة تلهب نيران قد تسيل بسببها دماء ـ لا سامح الله ـ ولذا الشيطان اللعين والجن يسيطر على الإنسان من خلال نافذة الخواطر. فإذا كان الإنسان يستطيع أن يروّض نفسه ويكون لديه برنامج مراقبة للنفس ويلتفت إلى مصدر كل خاطرة تمر في صفحة النفس، من أين أتت؟ ومن أي جهة، وما طبيعتها سوداء أو بيضاء، وغير ذلك فحينئذ لا يكترث بها، فيكون حليم ويكون عنده حسن ظن بالآخرين ويكون عنده حسن الظن بالله فالخاطر والنية إذن أمرهما عصيب جداً.

عبادة إبليس

مر علينا سابقاً أن عبادة إبليس كانت مدتها ستة آلاف سنة، ولكن ما هي هذه العبادة هل هي طقس بدني؟!، فالعبادة ليست طقس وشكل وهيئة بدنية، وإنما العبادة هي: (أسألك سؤال خاضع متذلل خاشع) وليس سؤال معادي وحاقد ومعاند، قد يسأل الإنسان الله سؤال حاقد،

هذا لا يتقرب إلى الله، أو سؤال معاند، أو سؤال متبرم ومتضجر فهذا ليس بسؤال العابد.

وقد يخاف الإنسان الله، ولكن يخافه سوء ظن وليس مخافة الموقنين كما في دعاء كميل: (وأجعلني أخافك مخافة الموقنين) فإن مخافة الموقنين شيء ومخافة المسيئين الظن شيء آخر، فالله ﷻ لا يحب ولا يريد مخافة المسيئين الظن لأنه في الخاطر يرتسم له الرب والباري بصورة هي غير صالحة ـ والعياذ بالله ـ لأن الصورة التي تأتي في الذهن لله كأنه يصف الباري، ويرسم جسر سيء بينه وبين باريه يسيء فيه إلى مقام الجلالة.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[1]. فإذا كانت الخاطرة خاطرة سوء فسوف ينجم عنها الكثير من أبواب المهالك، وإذا كانت خاطرة حسنة فسوف ينجم عنها الكثير من المفازات.

---

(١)الأحزاب: ٩ـ ١٢

نفسية أو خاطرة أبو الفضل العباس عليه السلام

مثلاً نتوقع أن أبا الفضل العباس عليه السلام حينما وصل إلى نهر الفرات العلقمي نوى أن يواسي سيد الشهداء عليه السلام وهو الآن مقدم على تجرع الموت، ونحن نعرف أن الإنسان عند الموت ينادي وانفساه، ولما يرى الموت لا يفكر في غيره: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾[1]، فإن الإنسان لما يصل الخطر إلى نفسه لا يستطيع أن يكون فداء لغيره، هذا إذا كان الشخص حريصاً على نفسه وكانت عزيزة عليه.

أما إذا يسترخصها إلى ما هو أعز منها كالإمام المعصوم أو الباري تعالى فهنا لا تملكه نفسه وإنما هو الذي يملك نفسه ـ وهذا بحث لا نريد الخوض فيه ـ فإذا أردنا أن نقرأ واقعة الطف قراءة مشهدالخواطر ومشاهد النوايا وهو يغاير المشهد القتالي العسكري ويغاير المشهد السياسي في واقعة عاشوراء. ومن تلك المواقف واللقطات نرى أن أبا الفضل العباس عليه السلام فجأة يظهر لديه خاطرة من الخواطر المعالي بحيث يتحكم بنفسه بهذه

---

(١) عبس: ٣٤ ـ ٣٦

السرعة المدهشة وبدون تريّث وتروي وبدون تلكؤ، وبدون تتعتع، وبدون تردد في خضم هذه المعركة.

وعندما ترى بعض الخطباء (حفظهم الله تعالى) عندما يفصلون ويحللون لك المعاني تظن أنها مسترسلة بالساعات، كلا بل هي أقل من ثواني تطوى هذه الأمور، فكيف دفعة حدثت عنده هذه الخاطرة؟!.

ذلك نتيجة تربية مسبقة، فالخواطر الحسنة تجعله يقيم دائماً في المقامات العالية من كمالات النفس لأبي الفضل العباس عليه السلام. فإذا لم يكن منشداً إلى النوايا الجميلة السامية؛ فلا يصدر منه موقفاً فجأة يحير الألباب. فطبيعة النفس والأرضية الروحية تحتاج إلى لياقة وتدريب وهما ـ التدريب واللياقة ـ لا يحصلان للإنسان فجأة، هنا مكمن خطورة النوايا والخواطر، ومكمن أهمية النوايا والخواطر، فإنها تعد الإنسان على المدى البعيد على مواقع حاسمة قد يتعرض إليها الإنسان،فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أسر سريرة رداه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر)[1].

---

(١) الكافي، ج٢: ٢٩٤، ح:٦.

ومن هنا عندما يقع الإنسان في فاحشة ويصرخ ويقول آه... آه، قد وقعت في الفاحشة فقد كنت في طاعة ولم أتمالك نفسي !! عن خواطر السوء مما يسبب الأنزلاق بسرعة في الفترات اللاحقة، أما إذا كنت من مسافة بعيدة جداً ومن خلال راجمات نورية تهدم خواطر السوء دائماً، ونفرت منها وأستبقت مهاجمتها في خواطرك ولم تمل إليها فسوف تنج من عاقبة السوء .

النفس أشد مخالباً من الزوجة:

وفي الدعاء (أشدد على العزيمة جوانحي)، فالدعاء عندنا هو أنس نغمي صوتي له نور، ولكن معانيه خطيرة جداً، ويبني برنامجاً عظيماً بلغة علم الأجتماع أو علم النفس.

إذن (وأشدد على العزيمة جوانحي) يعني من مسافة زمنية سابقة يجب أن تبرمج هذه الخواطر والنوايا، بل حتى في الأعمال الصالحة أيضاً، لأنه إذا أتيت بعمل صالح سوف تجد نفسك تمانعك وتعاندك وتملكك وتأخذ بأنفاسك، فهل تظن أن هذه النفس طيعة بيدك، كلا... فإن النفس في الواقع هي أشد مخالباً من الزوجة على الزوج أو العكس لا فرق، ويظن

الإنسان أن نفسه تمام ذاته ولكن هي ليست ذاته بل ذاته أعلى من النفس، نعم هي مّركّب ودابة، ولكنها تخدع الإنسان وتقول له أنا ليست دابة أنا أنت ولكن تكذب فهي دابة وقوى وغرائز جوهرية خادمة للذات والروح الانسانية، ولكنها عبد يريد أن يكون سيداً عليك.

فأحد الأبواب الكبيرة لترويض النفس هو بحث النية والخواطر، لأن الخواطر في الواقع هي فتيل وطاقة بنزين نور، أو بنزين شر ونار.

فإذا جائتك خاطرة سوء فحاول أن تتجادل معها وإن تفند مبرراتها الموهومة وتشجبها وتبطلها، بل وتثبت خطأها ولا تحاول أن تقتنع وترضخ لها، لأن خاطرة السوء كما قلنا هي كلام الشيطان أو كلام النفس، أو ما وراء كلام النفس والشيطان كبعض المخلوقات الأثيرية التي لا نراها ولا نشاهدها من الشياطين وغيرها.

ولا تقول هذا تضييع لحياتي اليومية أن أشدد خاطري وأشغل روحي بأشياء، كلا بل هذه مهمة جداً وهو عامل مربي لنا. فإن سر وجودنا وبعثنا في حياتنا الدنيا هي من أجل هذه الحلبة وهي حلبة بحث الخواطر والنوايا، وهذا أحد معاني الحديث الشريف: (إنما الأعمال بالنيات).

النية الحسنة

كذلك الحال في الثواب وبالنسبة الى الخير، فأن مطلق النية الحسنة يثاب عليها الإنسان حتى ولو لم يتابعها، بل مجرد نواها. وبالتالي صحيفة أعمال الإنسان قد تشتمل على ما لا يحصيه إلا الله ﷻ من الثواب أو الأعمال الحسنة لمجرد أن الإنسان نواها، ربما الإنسان يستعظم هذا المطلب بأعتبار أن الإنسان بمجرد أن ينوي أعمال حسنة كثيرة تكتب له تلك الأعمال، فإذاً يستطيع الإنسان أن يثري صحيفة عمله ويخزن في صحيفة عمله إلى ما شاء الله من الأعمال وان لم تتأتى له الظروف لأنجاز العمل، ولعلك تسأل كيف تتوافق هذه مع جدية النية.وأن مجرد النية يكتب له الثواب. بل ربما يتوهم أن في ذلك دعوى للبطالة أو العطل. اذ بمجرد النية وان لم يتخذ هذا المنوي عملاً في الفعل يكتب له الثواب. هذا التساؤل مثار بقوة على هذا الموضوع وبالتالي قد يكون الأعتماد على هذه المقولة نوع من المدعاة للعزوف عن العمل. والحال أن الدين الإسلامي يحث على العمل ويذم البطالة، فتعاليم القرآن الكريم تدعوا للعمل فلو بالغنا في النية وأهمية النية، وخطورة النية، كان ذلك مدعاة

للكسل والفشل والعطالة والبطالة لا سمح الله. وهذا التساؤل جيد، وفي محله ولكن حقيقة الحال ليست كذلك:

أولاً : لأن النية الحسنة ليست بمعنى أنك تقرر وتصمم أنك نويت وبذلك تحصل لك نية الأمر الحسن أو الفعل الحسن، معنى النية تعني أن لك ميل وشوق إلى ذلك العمل ومحبة ورضا به، إلا إذا كان الإنسان في نفسه ليس صادقاً فيما يتصوره من أحاسيس نفسه. يعني ميله للأمر الحسن، للفعل الحسن ليس صادقاً، وإذا لم يكن له ميل وأنشداد وأنجذاب نفساني إلى نفس الأمر الحسن لا يقال له نوى الشيء الحسن، إذن أمر نية الأمر الحسن ليس هو سراب وخيال، وليس هو أحلام، بل فيه واقعية ومصداقية وصدق وجدية وهو أن يرى الإنسان من نفسه أنه يميل إلى ذلك الأمر الحسن أما مجرد أنه يتصور ويزعم أنه نوى وليس عنده ميل ولا أنجذاب لذلك الأمر الحسن فهذه ليست نية، ومن ثم ورد أن من أحب عمل قوم أو رضى به أشرك معهم فالمحبة والرضا أمران بالغان في الخطورة وليسا مجرد حالات جانحية نفسانية ينفلت الانسان فيهما داخل ميول وتجاذبات نفسه، بل هما أخطر من العمل لأن قدرة الانسان على العمل محدودة، فالمسؤولية محدودة وأما قدرته على الرضا

والمحبة والميول فلا حد لها، فيمكن أن يوقع لديه مشاركة مع ثواب أو أوزار الاجيال الانسانية كلها أجمع من مامضى ومن مايأتي الى يوم القيامة إذن النية الحسنة لها تداعيات وحركة جوانحية كما في الدعاء المأثور: (اللهم أرزقنا توفيق الطاعة وبُعد المعصية وعرفان الحرمة وصدق النية) فتوجد نية صادقة، يعني حقيقة النية ووجودها ولديه ميل ورغبة وحرص وشوق على ذلك الأمر.

وتارة فقط يدعي ويخطر في باله الشيء الحسن، هذه لا يقال لها نية، إذا صار عنده ميل أو شوق ومتوفرة الأسباب لإتيان ذلك العمل ولم يأتي به فلا يكون عنده صدق نية، بل عنده زعم نية وليس صدق نية لأنه لو كان لديه صدق نية وميل حسن وأنجذاب وأنشداد إلى هذا المطلب فالمفروض أنه يقدم إذا لم يكن عنده أي مانع من أنجاز العمل، فلو قال أحدنا: لو كان عندي أموال لفعلت هذه الخيرية المعينة الضخمة، ثم ربما تتوفر له الأموال ثم تمانعه وتجاذبه نفسه عن أن يقدم. إذن ليس له صدق نية.

هذا ما يدلل على أن المراد من النية الحسنة ليس أي قصد في النفس وليس أي التفات أو خاطر، إنما هو أندفاع نفساني حقيقي نحو ذلك الأمر الحسن بحيث لو توفرت لديه الآليات والمعدات لأنجزها وفعلها وحققها في الخارج فحينئذ هذا عنده صدق نية. وإلا مجرد القصد ليس صدق نية، إذن صحيح النية أمر سهل، من جانب وصعب من جانب، أمر صعب يعني صدق النية غير متوفر في كل ما يتخيل الإنسان لأنه لديه نوايا حسنة.

لذلك النية الحسنة لا تكتب للإنسان بمجرد الألتفات والخاطر لدى الإنسان، بل إذا كان هذا الخاطر أنجذاب بحيث بعد ذلك إذا توافرت لديه المعدات لأنجزها ولم يتلكأ،ولم يتتعتع، ولم تتجاذبه نزعات مانعة في نفسه.

عشق الحسين عليه السلام

وردت رواية عن الإمام الرضا عليه السلام ـ في حديث مع أبن شبيب ـ يا بن شبيب، إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن أستشهد مع الحسين

فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً[١].

يعني يحدث التمني في نفسه تمني جدي صادق، فهناك من التمني الكاذب أي زعم، وليس تمني جدي صادق،كما في قصة جابر بن عبدالله الأنصاري في القضية المعروفة لديكم في زيارة الأربعين التي رواها عطية العوفي حيث قال: خرجت مع جابر بن عبدالله الأنصاري زائراً قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطيء الفرات فأغتسل ثم أتزر بإزار، وأرتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سعد فنشرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله، حتى دنا من القبر. قال: ألمسنيه، فألمسته، فخر على القبر مغشياً عليه، فرشتت من الماء، فلما أفاق، قال: يا حسين ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه[٢].

فالشوق الموجود لدى جابر بن عبدالله الأنصاري ومحبته الشديدة للحسين عليه السلام يعلم منها أنها صدق نية عنده.

---

(١)الوسائل: ج١٤: ٥٠٣.

(٢)تظلم الزهراء: ٣٤٤.

نعم صحيح أن النية تبني لك عوالم من الحسنات ، فلربما الإنسان لو كان بمستوى عالي من الهمة متصفحاً الأعمال الحسنة من الأولين إلى الآخرين وينويها لكان له ثواب. ولكن من هو فارس هذا الميدان حتى تكون لديه القابلية وتكون لديه صدق نية، يعني نية واقعية، ومن ذلك يتبين أن النية هي مخزون طاقة بقدر تلك الأعمال، أحد العلماء يقول لو أعطيت الجنة بكل جدرانها كاملة الجنان كلها على أن أمتحن بأمتحان من أمتحانات رسول الله ﷺ ما قبلت هذه الصفقة من الله ﷻ، لأن الإنسان تخونه النية لأنه هل لديه عزم بهذه القوة وهذه الشدة أو لا؟.

إذن نحن نظن من نفسنا أو نتحيل أننا لدينا الأهلية أو القابلية لأن ننوي كل أمر حسن، صحيح يكون عندنا ميول يسيرة، ولكن ميول مخزونة مكدسة بحجم تلك الأعمال فهذا غير معلوم، ومن ثم فالباب لأيجاد وايقاع النية الصادقة ليس مفتوحاً لكل أحد. المفروض أن نعلم أنفسنا على الولوج والدخول في هذا الباب ولكن ليس كما يظن أنه باب سهل الولوج وسهل الدخول.

فصدق النية وواقعيتها هي أن تكون النية بحجم العمل، مولدة لذلك العمل، وفعلاً لو قدّر الله ﷻ أن يتمكن الإنسان في ذلك الظرف وفي ذلك الموضع، أفرض ـ من باب المثال ـ لو رزقك الله أخوة الإمام الحسين ﷺ هل تقف ما وقفه أبو الفضل العباس، أو ما وقفه بقية أخوان الإمام الحسين ﷺ الذين لم يناصروا الحسين ﷺ هم رزقوا أخوة الإمام الحسين ﷺ لكن تلك النية أو ذلك التأهل لم يكن عند الكل.

الآن أنت تتصفح التاريخ. وبعض الأحيان الإنسان من قصوره في القدرة على نية الشيء الحسن حتى في قضاء وجدانه إلى أحداث تاريخية معنية يتلكأ في القضاء، أقصد قضاء الضمير، يعني كأنما ضميره يحكم كقاضي يتلكأ الإنسان أن يقضي على الخطأ بأنه خطأ، يتحشرج، يتلكأ، لماذا هذا التلكؤ، لأن الإنسان ليس له أهلية ولاقدرة على ذلك فضلاً عن أن تتولد لديه تلك النية.

النية والأمر بالمعروف

فمبحث النية والخاطر والألتفات الذي يذكره الفقهاء في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أدنى درجاته القلب، وهو أنه تنكر المنكر في قلبك، وهذا نوع من النهي والأنتهاء عن المنكر، والمعروف تستحسنه على الأقل في قلبك، وذلك (أضعف الإيمان) حيث لاتتمكن من أبرازه للخارج هذا أقل تقدير.

هذا المطلب وهو نية المعروف والنفرة من المنكر في القلب. الذي يذكره الفقهاء ليس حكمه مستحباً بل واجب، إذا كان المعروف واجب فنيته واجبة، وإذا كان المنكر حرام النفرة منه أيضاً واجبة.

وما مر علينا من أن نية الحسن يكتب للإنسان الثواب، وفي النية السيئة قد يغفر الإنسان، هذا التفصيل والتقسيم الذي مر علينا بلحاظ الأعمال المستقبلية، أما بلحاظ ما مضى من أعمال الأمم أو أعمال الناس، وبلحاظ ما وقع من أفعال الإنسان ليس مخيراً في أن ينوي الأمر الحسن يعني الواجب، وان ينفر ويستنكر من الأمر المنكر بل واجب عليه، وهذا الموقف بلحاظ طول التاريخ، وهذا يبين عظمة وخطورة الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر بـــدرجة القلب سواء المستحبة أوالواجبة إذا كانت في منكر حرام أو معروف واجب. لذلك أنظر القرآن الكريم كيف يستعرض لنا ما حدث في مسلسلة التاريخ منذ قابيل وهابيل إلى زمان النبي ﷺ، فترى القرآن الكريم يدين ويشجب قابيل كما في قوله تعالى:

﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

ويُفصح أو ينادي ويتضامن مع هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ﴾[2]، كذلك مع أصحاب الأخدود القرآن الكريم يتضامن معهم، ويندد بالقاتلين لهم، كذلك أصحاب الكهف كذلك الكثير من الوقائع التاريخية المهمة القرآن الكريم يستعرضها، الوقائع التاريخية المهمة التي فيها ظلامات يدين القرآن الظالم ويتضامن مع المظلوم تعليماً من القرآن الكريم لقارئ القرآن، وهذا أمر واجب وليس أمراً مستحب، ومعروفة

---

(١)المائدة: (٢٩-٣٠).

(٢)المائدة: ٢٧.

هذه القاعدة الأعتقادية لدى جميع المذاهب:(من رضي بعمل قوم أشرك معهم)[1].

ومن الغريب أن البعض كثيراً ما يستنكر أو يتسائل: لماذا أنتم تنبشون التاريخ؟. مثلاً ما وقع في كربلاء، أو ما وقع في صفين، أو ما وقع في الجمل، أو ما وقع في النهروان، وغيرها من الوقائع الأخرى، لماذا تنبشون التاريخ؟ دعوا التاريخ.

كأنما هؤلاء يتناسون القاعدة الفقهية العقائدية نفسها: أن إنكار المنكر واجب ولو بالقلب، والأمر بالمعروف واجب ولو بالقلب، ليس الإنسان في خيار أن ينتخب أو لا ينتخب، يتضامن أو لا يتضامن.

ظالمي آل البيت عليهم السلام

مثلاً يقال لنا لماذا أنتم تنددون في زيارة عاشوراء بالذين ظلموا أهل البيت، وتثيرون الأحقاد وتثيرون الضغينة وتثيرون الفرقة وما شابه ذلك.

---

(١)الوسائل ج١١: ٤٠٨،الباب (٥) من أبواب الأمر والنهي

ومن هذا القبيل تسائلات كثيرة. هل قضية التنديد أو الأستنكار أمر خياري بيد الإنسان أو أنه واجب؟ وهم يروون الروايات حتى في صحيح البخاري: فلو أن رجلاً أحب حجراً لحشره الله عزوجل معه الى يوم القيامة [1].

هذا الميل النفساني ـ الذي هو بحث النية وبحث الخاطر ـ عجيب أمره، والآن حتى علماء الأثير في علوم الروح الجديدة. عندهم أكبر عامل مغنطة، وأكبر عامل الأتصالات في عالم البرزخ بين الأموات قضية المحبة، وأكبر عامل نفرة يُباعد بين الأموات في عالم البرزخ الكراهة.

يعني المحبة توصلك وتجذبك في أن تكون في محل واحد مع أموات آخرين وأرواح أخرى، والكراهة بالعكس تبعدك.

إذن المحبة أو النية نفسها أو الميل نفسه ـ الذي قلناه ـ هذا الفعل قد يستهين المرء به ويستصغره وهو عند الله عظيم جداً، هذا هو نفسه موقف، نفس النية إذن نية: (من أحب عمل قوم خيراً كان أو شراً كان

---

(١)أعلام الدين للديلمي: ١٨٧.

كمن عمله)[١] وفي رواية أخرى: (من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم)[٢]، أي أشرك معهم في الثواب أو في العقاب إذا أحب سوء أعمالهم، ولذلك عندنا روايات متعددة منها ما روي عن الإمام أبي عبدالله ﵇: لعن الله القدرية لعن الله الحرورية لعن الله المرجئة لعن الله المرجئة. قلت: جعلت فداك كيف لعنت هؤلاء مرة ولعنت هؤلاء مرتين؟ فقال: إن هؤلاء زعموا أن الذين قتلونا مؤمنين فثيابهم مُلطخة بدمائنا إلى يوم القيامة أما تسمع لقول الله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿صَادِقِينَ﴾ قال: فكان بين الذين خوطبوا بهذا القول وبين القائلين خمس مائة عام، فسماهم الله قاتلين برضاهم صنع أولئك[٣]. فلربما تقول أصلاً ما شاركنا في قتله ما قاتلناك،

---

(١)مسند الشهاب لأبن سلامة ج١: ٢٥٩، كنز العمال: ج٥: ٣٤١.

(٢)مستدرك الوسائل ج١٢: ١٠٨، باب تحريم الرضا بالظلم، ح: ٢.

(٣)تفسير العياشي ج١: ٢٣٢.

ما أعنا عليك أيها المقتول المظلوم حتى بكلمة، قال صحيح لكن أنت أحببت عمله.

فالإنسان إذن محاسب ومسؤول ليس على الكلمة التي يطلقها فقط، ويكون مسؤولاً عن الكلمة التي تخرج من اللسان، بل نفس النية هي كلمة، نفس النية هي فعل ونشاط يؤثر حتى على المجتمع لأن النية تؤثر على سلوك الإنسان تلقائياً. أنت لما يحدث لك موقف بحسب قلبك وبحسب نيتك وبحسب خاطرك هذا ـ شئت أم أبيت ـ ينعكس على سلوكك من حيث لا تشعر، وبالتالي سلوكك ينعكس على الأمواج الأجتماعية، فأنت ستكون من حيث تشعر أو لا تشعر في صف معسكر معين، لونه نفس لون الذي نويته أنت.

فإذن أنت عنصر فاعل ومؤثر حتى في المسار الأجتماعي من حيث تشعر أو لا تشعر، بل الإنسان نيته وفعله له تأثير حتى على الأموات، كيف هذا الترابط؟ بحث له مجال آخر.

فإذن بالنسبة إلى ما وقع من الأفعال الإنسان ليس مخيراً، بالنسبة لما وقع من أفعال البشر أو من أفعال الإنسان نفسه، أو بالنسبة لأفعال

الآخرين إذا كان خير واجب فيلزم الإنسان أن ينوه ويميل إليه، وإذا كان فعل حرام يُلزم الإنسان أن ينفر منه ويكرهه.

شواهد قرآنية

لقطات كثيرة يذكرها لنا القرآن الكريم، ويستشهد بها الأئمة عليهم السلام مثلاً: القرآن الذي نزل في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يداين ويحاسب بني إسرائيل أنكم أنتم الذين قتلتم أنبياء الله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1].

مع أنهم لم يشاركوا بأيديهم إذن كيف يخاطبهم القرآن الكريم؟ يخاطبهم مخاطبة رأي العين كأنما هم أرتكبوا الآن الجريمة ماثلة ومشاركتهم حية.

---

(١)البقرة: ٦١.

وواقعاً الإنسان إذا ألتفت الى الخطاب في الآيات، يظن أنهم شاركوا مشاركة حية في القتل لأنبياء الله ولنكث عهد الله. مع أن هذه الأمور وقعت في زمن النبي موسى عليه السلام أو بين زمن النبي موسى والنبي عيسى (عليهما السلام) كيف يخاطب القرآن الموجودين الأحياء في زمن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] وقد علم أن هؤلاء لم يقتلوا ولكن فقد كان هواؤهم مع الذين قتلوا فسماهم الله قاتلين لمتابعة هوائهم ورضاهم لذلك الفعل[2].

وفي رواية أخرى: فكان بين الذين خوطبوا بهذا القول وبين القائلين خمس مائة عام، فسماهم الله قاتلين برضاهم بما صنع أولئك[3].

لأنهم لايخطئون ولا يستنكرون ولا يتبرؤون من أعمال أسلافهم تأخذهم الحميّة عن تخطيئهم، معاوية ما فعل يزيد ما فعل، فيقولون هذا

---

(١)آل عمران: ١٨٣.

(٢) تفسير العياشي ج١: ٢٣٢. (٣) المصدر السابق.

غير معلوم، هذا هو نوع حماية، تحامي عنه يعني تشرك أنت معه، أنا لم أئتي بالحطب لبيت الزهراء ـ أعوذ بالله ـ نعم ولكن أنت تحاميت، أنا لم أحرف معاني القرآن، نعم ولكن تحاميت عن الذين حرفوا مسير الأمة، أنا أين كنت وفلان أين، نعم أن بينكم فاصل زمني لكن من حيث المواقف أن بينكم وفاق، وفاق وطني أيضاً، في وطن المعصية طبعاً.

سلوكك النفساني والقلبي ينعكس على سلوكك الخارجي والمصيري الآخروي هذا أنت، هذا الفعل كنية نستهين بها ونستصغرها وهي عند الله عظيمة لأنها ستنعكس على سلوكك تلقائياً وستكون في صف معسكر ذلك الطرف كمسار أيدلوجي، كمسار أجتماعي، كمسار سياسي وهلم جرا، شئت أم أبيت، ستكون في ذلك الطرف، لذلك أهل البيت عليهم السلام يتشددون في التولي والتبري، وكل شيء يرتبط بالتولي والتبري فمنطلقه ولاء في القلب.

شواهد عالمية

كما الآن من باب المثال الرئيس الياباني في عام (٢٠٠٤-٢٠٠٣) في أول يوم من أول شهر في السنة الميلادية قام بزيارة قبور جنرالات الجيش الياباني الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى، الصين والكورية الجنوبية التي هي حليفة أمريكية ، أدانوا فعل الرئيس الياباني بشكل شديد وخرجت تظاهرات، ليس فقط أدانة رسمية من وزارة الخارجية فقط، حتى الشعب خرج مظاهرات عارمة وحدثت ضجة شعبية عدة شهور وسنين، وتتفاعل الأزمة بينهما بين فترة وأخرى وطالبوا الرئيس الياباني بأن يعتذر من الشعبين الصيني والكوري لزيارته لهؤلاء الجنرالات، لأن هؤلاء الجنرالات الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى شاركوا في إراقة دماء آلاف الملايين من الشعب الكوري والصيني، وعندهم مدرسة تدعوا إلى العنصرية اليابانية وتهدد المنطقة، فلماذا يتخوف الشعبان الصيني والكوري؟ يتخوفان لأن هذا الرئيس الياباني بتضامنه يربي الجيل الناشيء من اليابانيين على نفس العنصرية والشعوبية اليابانية، يعني يعود يهدد ويأزم المنطقة مرة ثانية. أنظر الآن الى فطرة البشر فأنهم نفس التضامن لا يستهينوا به ولا يستصغروه لماذا؟.

لأن هذا التضامن هذا التولي أو عدم التبري باللغة العصرية يسمى التبري (شجب، إدانة، إستنكار) بالعكس التولي (تضامن، تحالف، تأييد) إلى ما شئت فسميه، فنفس البشر إذن يفلسفون هذه المواقف لأنها تنعكس على تربية الجيل، فالحاضر يحيي أفكار مدارس سابقة، تبني هوية المجتمع الحاضر الآن.

فالنية لايمكن أن نستصغرها، والالتفات والخاطر لا يستصغر، فالنية هيالتي الآن تقوم بصنع بناء ذاتك. نفس رادر النية توجهه أنت وتتحكم فيه ليصنع هوية بناؤك ويجعلك نازي هتلري أو يجعلك موسوليني أيطالياً الذي يدعو إلى العنصرية الإيطالية.

تخوّف الغرب

لماذا الغرب، أمريكا وغيرها يخافون من رجوع مثل هذه الثقافات فمثلاً الآن دول العالم لا تسمح بمديح هتلر وتتحسس من احياء ذكريات هتلر ببالغ التحسس والرعب والحذر، ويعتبرون أي ترويج لذكرى هتلر جريمة جنائية دولية، وأين خطورة هتلر من شخصيات أخرى قلبت مسار البشرية رأسا على عقب الى الردى، فهي ليست جريمة وجناية دولية

فحسب، ولاحضارية فحسب بل هي كونية في العوالم، مع أن هتلر عاد تراب ورميم في بطن الأرض الا أن مثاله في القلوب يفجر براكين مزلزلة للوضع البشري، حيث تجرعت وجرت منه الشعوب الأوربية عشرات الملايين من القتلى الأبرياء، فكيف بمن هو أعظم جريمة من هتلر، وجر على الأجيال الانسانية المتاهات والدماء والمعانات في كل المجالات، ويجر عليها من الحرمان في القابل الى ظهور الفرج . لماذا كل هذا التحسس من الأندية والمنظمات الدولية؟ لأنه إذا مدح هتلر يعني مدح فكره، وتصبح دعوة تربوية إلى الجيل الحاضر على نهجه المدمر.

الآن غريباً أي صحيفة تتعرض إلى هتلر ولا تدينه تعتبر صحيفة إرهابية تدعوا إلى زعزعة الأمن العالمي إلى هذا المقدار، نعم تشخيصهم وتقديرهم لهذا الموقف عين الصحة والصواب. لاحظوا نفس النية مع أنه ليس بعمل خارجي، ولكن تداعياته على الوضع الدولي ومصير الأمم كيف يكون !!. إذن لا نستصغر شأن النية لأنها خطر جداً، فتشدد أهل البيت عليهم السلام في قضية التبرؤ من الظالمين، والتضامن مع المظلومين، هذا ليس فقط من أجل أن يقول البعض هذه وقائع تاريخية أكل الدهر عليها وشرب بل هي وقائع تاريخية بل تاريخ ناخر في وجدان وهوية الأحياء،

هو يبني هوية وشخصية جيل المستقبل، وهو الذي يحدد مسار الأحياء، يمين شمال جنوب.. فالنية ليست أمراً سهلاً: (من أحب عمل قوم أشرك في عملهم) فقط أحب، وهذه الرواية مروية في أغلب مصادر المسلمين حتى في البخاري، والعجب مع وجودها في جل المصادر ويرفضون أن نمحص التاريخ، ويرفضون أن ننقح الخطأ من الصواب، فنحن إذا تعامينا وأغمضنا نظرنا وبصرنا كيف نبصر الطريق، الطريق طريق المستقبل لأنفسنا وهل يمكن للإنسان أن ينتخب طريق للمستقبل من دون أن يعي الماضي. فهوية الإنسان هي تراكم حضارات، فنحن اذن عبارة عن مجموعة حضارات، والنموذج اليسير منها كيف طريقة اللبس وكيف طريقة الأكل وكيف طريقة المحاورة وكيف طريقة الفكر.

هل فجأة أصبحت لدينا هذه التقنية في المعيشة، والتقنية في نظام الإخاء، التقنية في نظام التبادل الخلقي، التقنية في التبادل المعاشي، هذه نتيجة تكدس تجارب وحضارات، بعبارة أخرى نحن عبارة عن مخزون حضارات من سبقنا، فإذا أن تحلل نفسك لباسك أكلك شربك عملك طقوسك عاداتك تقاليدك رسومك فهو عبارة عن مخزون بشري كامل، فإذن هويتك مبتنية على الماضي، وبعبارة أخرى هويتك الآن الحاضرة

هي وليدة وبناء موقفك الذي تحدده حول ما مضى، فالنية والإلتفات القلبي بناء هوية وشخصية، نعم الذي يريد أن يتحايل على عقول الناس، ويعمى عقول الناس ويكمكم عقول الناس يقول لهم دع ما مضى، لا تحدد موقفك، لا داعي لذلك خذ بالتسامح، وهذه أقنعة خديعة جديدة، تسامح يعني أتسامح أن لا أنفر من القبيح، أتسامح بأن لا أستنكر المنكر السيئ هذا ليس تسامحاً بل تسيب وأنفلات عن التوقي والوقاية وأنغماس في التلوث، تلوث يسمونه تسامح وتساهل وينهونك عن التشدد، طبعاً التساهل في موضعه صحيح، والتشدد في غير موضعه خطأ، بل لابد من تحديد ضوابط وأطر لتحديد موارد أختراقهما عن الأخر.

التساهل مع الخطأ في الواقع هو تشدد في الرعونة، أنظر إلى ما يدعو إليه الغرب ـ من باب المواقف ـ لاحظ الثقافة الحديثة الغربية الموجودة الآن التي تريد أن تذيب الشخصية الإسلامية تقول أنت لا تتشدد، يعني حتى في موقفك لا تتشدد، لا تستنكر. إذن أنا لا أستنكر بل أتلوث مع الفحشاء ومع الأفعال الساقطة ومع هذه العادات الجديدة الهدامة للمجتمع، تساهل كلمة حق يُراد بها باطل. هل يمكن أن تتساهل مع

الميكروبات مع القذارات هل يتساهل الإنسان يجبن ويتوقف هذا ليس موضع تساهل.

إذن هذا الموقف والنية والفكر الكثير يحاول أن يستصغره دجلاً وتحايلاً، لكن هو عند الله عظيم جداً، لأن هذا هو الذي يبني هويتك وشخصيتك.

التولي والتبري

ورد عن أمير المؤمنين ﷺ التشديد على أن من تبرأ منه قلباً يمرق من الدين، ففي حديث ورد عنه ﷺ وهو يخاطب أصحابه: (أما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة وأما البراءة فلا تبرؤا مني فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة)[1]، طبعاً هذا ليس فقط خطاب لأصحاب أمير المؤمنين ﷺ، وانما هو خطاب عام لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة. ما المراد من البراءة والسب؟.

---

(١)نهج البلاغة ج١: ١٣٧.

السب يكون باللفظ واللسان تقية: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[١]، ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[٢]، ولكن البراءة المقصود منها هي البراءة التي لا تسوغ بحال أبداً وهي بحسب الإرتكاز القلبي، لا يسوغ للإنسان ـ والعياذ بالله ـ أن يوطن إلى نفسه القطيعة لنهج أمير المؤمنين، لمسار أمير المؤمنين، لمواقف أمير المؤمنين. ولذا في دعاء التوجه في الصلاة نقرأ: (وجهت وجهي على ملة إبراهيم ودين محمد ومنهاج علي) أو في بعض التعابير في الدعاء: (وهدي علي) فإذن لا يمكن أن نوطن أنفسنا بأننا ـ أعوذ بالله ـ نبرأ أو نقاطع مسار ومنهاج أمير المؤمنين عليه السلام، فإذن هذا الحديث الشريف الذي هو قاعدة عقائدية لشيعة عليٍ إلى يوم القيامة أنه مهما تكالبت عليهم الظروف وليعطي الخصم بلسانه ما يتقي به على نفسه والى هذا التفصيل الذي بين اللسان والقلب يشير قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ

---

(١) آل عمران: ٢٨.

(٢) النحل: ١٠٦.

صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [(١)]. ولكن في قرارة قلبه لا يحل له أن يستحلي ويستحل النفرة من أمير المؤمنين علي أبن أبي طالب عليه السلام: (لأني ولدت على الفطرة) يعني الفطرة الكاملة للدين متجسدة في أمير المؤمنين فأنت تبرأ من الفطرة الإلهية والعياذ بالله.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هذا أيضاً معطوف على نفس هذا المطلب ؛ أنه أيضاً في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس هناك خيار للإنسان أن يرخص لنفسه قلبياً أن يستحب المنكر أو يستعذب المنكر أو يستحلي المنكر أو ميل إلى المنكر أو ينجذب إلى المنكر. ربما نستصغره ونعتبره هين وهو عند الله عظيم. إقامة الإنسان على مثل هذه النية أعظم خطراً وخطباً عند الله من أرتكاب نفس الفعل الخارجي، لأنه مرت علينا في الأبحاث السابقة أن خطب الفعل الخارجي ليس له خطب خطير بقدر النية.

لذا التجبر على الباري تعالى والرعونة و التكبر و التمرد صفات بلحاظ الحالة النفسية وليست بلحاظ الحالة البدنية، أي أن الإنسان مجاهدته مكابدته في أن يطوِع، يطيع، يلين ذاته ذليل أمام الله تعالى،

كذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومر علينا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لايختص ولايقتصر على لحاظ الوضع والعيش الراهن، وفي هذا الموضوع كثير من المؤمنين في غفلة عنه ـ ربما الكتب الفقهية يترائى منها هذا الإيحاء وإن كانت غير مقصودة ـ فإن هذا ليس بصحيح.

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس خاصاً بحياة الإنسان الراهنة المعاشة بل تستوعب عمر الدنيا من أولها إلى أخرها، وهذا يدل على سعة الإنسان فروح الإنسان ذات موجود وسيع جداً. أنت أيها الإنسان لست قَزِماً بقدر حدود وقصر حياتك البدنية التي تعيش فيها في عمرك، أنت طبيعتك بناها الله وخلقك وجهزك بذات وبوجود وسيع جداً. يعني حملك مسؤولية أن تتخذ موقف أتجاه كل أحداث التاريخ ما كان وما سيأتي.

ولعلك تسأل مافلسفة تكليف وتحميل الله هذه المسؤولية للانسان، أي مسؤولية باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القلبي، ولا تحد هذه المسؤولية بالقضايا الفردية بل تشمل القضايا الإجتماعية ولاتقتصر على الإجتماع المعاصر والقضايا المعاصرة وإنما تعم كل المجتمعات، وكل الملل،

وكل النحل في كل القرون السابقة علينا واللاحقة، مثلاً: من يمر بمظلوم ويستطيع أن ينصره ولا ينصره يؤاخذ بذلك، أو حتى لا ينكره بقلبه يؤاخذ بذلك.

فإن الإنسان مجهز بمقام وجودي معين أوطاقة وجودية معينة غير محصورة ومنحصر بحياته البدنية والزمانية التي يعيش فيها وبعمر سنينه التي يعيش فيها، فإذا كان الإنسان كفوء لمثل هذه المنحة الإلهية يستطيع إذن أن يعيش نفسه بوسع ما جهزه الله من مقام وجودي، يتضامن مع سلسلة الصالحين من أول تأريخ البشرية إلى آخر تاريخ البشرية، ويشاركهم في الموقف.

حمزة وجعفر يشهدان للإنبياء

لدينا في بعض الروايات أن نوحاً وإبراهيم (عليهما السلام) يأتيان إلى سيد الإنبياء في يوم القيامة في المحشر ويريدان من النبي أن يشهد لهما بالوفاء في تبليغ الرسالة فيبعث النبي ﷺ حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار ليشهدا لنوح وإبراهيم بالوفاء بالرسالة مع أن حمزة وجعفر لم يكونا في زمان إبراهيم ولا في زمان نوح كيف يتحملان مثل هذه

المسؤولية، وليس من المحاكم الدنيوية بل في محاكمة ومداينة أخروية التي ليس فيها أي عبث ولا لعب وإنما جدية وواقعية وحقيقية وخطيرة، وحصلا على هذا المقام لأنهما وصلا الى ما وصلا إليه من مقامات بحيث يتباهى بهما، لأنهما وصلا إلى مقامات من الإيمان والمعرفة واليقين بدور الإنبياء، فهما إذن لا يختص شأنهما بزمانهما، بل أصبح شأنهما يغطي دور يعم الأمم السابقة. أليس هذا نوع من الأحاطة بالوثائق والسندات الإلهية في يوم القيامة وهذا الموقف لاريب أن مستنده حقائق.

كيف تكون حقيقة أحاطة أن حمزة وجعفر الطيار يكون لهما دور في المداينة والمحاجحة بين النبي نوح وقومه وبين النبي إبراهيم وقومه، هذا أن دل فإنما يدل على أن حمزة وجعفر الطيار لم يكونا يعيشا زمانهما فقط بل كانا بإيمانهما بكل زمان لهما معرفة لهما مسؤولية بأتجاه حتى الإزمان والأدوار الأخرى.

ففي خطبة للامام علي عليه السلام يذكرفيها نعم الله عزوجل عليه وفيها يقول عليه السلام: ونحن أصحاب الأعراف أنا وعمي وأخي وأبن عمي، والله فالق

الحبة والنوى لايلج النار لنا محب ولايدخل الجنة لنا مبغض، لقول الله عزوجل (وعلى الأعراف رجال يعرفون بسيماهم) [١].

أن الله أعطى للإنسان مثل هذه القابلية بتوسط النية وبحث النية وعالم الروح، أعطاه مثل هذه القابلية والقوة والقدرة حينئذ يرتفع عن مستوى زمانه.

علي عليه السلام ونزاع الملائكة

أمير المؤمنين الذي هو سيد الوصيين ولا مجال للخوض في هذه الخصوصيات، ولكن في روايات الفريقين وردت أن أمير المؤمنين عليه السلام كان قد قضى في نزاع بين الملائكة، الملائكة طبعاً ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٢]. ولكن بمعنى نظير ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[٣]. من باب قد يكون هناك ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ

---

(١) نور الثقلين، ج٢: ٣٢.

(٢)التحريم: ٦.

(٣)البقرة: ٣٠.

بِأَسْمَائِهِمْ﴾[١]. وآدم كان معلم الملائكة بصفته ماذا؟. بصفته خليفة الله في الأرض، اذن الإنسان الكامل يصل الى الهيمنة على كل عالم وعوالم الملائكة، فأنظر إلى الإنسان اذا تجاوز ضيق البقعة الأرضية التي يعيش فيها، إذا تجاوزها إلى عالم روحه، روحه وسيعة جداً مجهزة ومؤهلة إلى مقامات كثيرة، حينئذ يعطي مثل هذه الشؤون، الشؤون أن يكون معلم للملائكة، أو أن أمير المؤمنين ؈ كما ورد في روايات الفريقين كان حكماً بين نزاعات الملائكة كما تشير الآية الكريمة: ﴿بِالْمَلإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[٢] الملأ الأعلى ملأ الملائكة، الأختصام ليس كما مرّ بنا هو النزاع الحيواني الموجود في أبناء الكرة الأرضية، بل المقصود منه نوع من إختلاف العلم أو قصور في العلم أو ما شابه ذلك عند الملائكة، لأن الملائكة أيضاً طبقات ودرجـات في العلم.

---

(١)البقرة: ٣٣.

(٢)ص: ٦٩.

إذن الإنسان الذي يمكن أن يعيش في بيئة أفعال روحه ونواياه، ومعرفته، وخواطره، يتسامى ويتعالى عن العيش في ضيق الحقبة الزمنية البدنية الأرضية التي يعيش فيها ومن ثم هذه مسؤولية ثمينة وكريمة من الله أودعها الله ﷻ في الإنسان، نحن الآن أبناء الأمة الإسلامية في زمننا هذا الا أن في كل زمان، يجب أن يكون لك موقف في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يحد بزمانك الذي تعيش فيه، الإنسان كلما تتوسع مسؤوليته ولو مسؤولية التكليف والتشريع مما يدل على مقامه أنه كبير وكلما تتضيق مسؤوليته تدل على صغره وأنحطاطه، أما إذا أرتفعت مسؤوليته فإنها تدل على سعة مقامه ومنصبه الكبير وشرافته الكبيرة.

إذن بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القلبي ليس فيه رخصة ولا يحد بزماننا هذا، بل له خلفية وأبعاد تدل على شرافة الإنسان وجوداً، لا تقل ماذا يعنيني فيما مضى، لا تقل لا يعنيني ما هو جار في عالم وعوالم الملائكة أنت تطالب بموقف أتجاهه، وتستحسن فعل الحسن من الملائكة، وأما الفعل الذي هو ترك الأولى يجب أن لا نستحسنه.

هل لدى الفرد منا مثل هذا المقام والمسؤولية؟ نعم وإلا لماذا يحدثنا الله ﷻ عن بعض شؤون الملائكة؟ مما يدل على أن الإنسان له مثل هذه الأهلية حتى هذا المقام، وبإمكان هذا الإنسان أن ينظم هذه البيئة المعقدة

المشحونة بالصراعات والتضاد والتناقض والتناحر ينظمها كبيئة ملائكية نورية وهي بيئة الأرض من خلال بوابة بحوث النية والخواطر.

الآن هذه القضية يشير إليها الامام الصادق عليه السلام في حديث يقول فيه:(ثم النية يبدو من القلب قدر صفاء المعرفة وتختلف على حسن أختلاف الاوقات والايمان في معنى قوته وضعفه وصاحب النية الخالصة نفسه وهواه معه مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله تعالى والحياء منه وهو من طبعه وشهوته ومنية نفسه في تعب والناس منه في راحة)[1].

فصفاء المعرفة يعني الصافي من معرفة الإنسان وفكره وصفاته الصافي الثمرة المتولدة لديه هو النية الحسنة، هو يشير عليه السلام إلى أن النية والخاطر لهما أرتباط حيوي لولبي مع صفات الإنسان ومع أفكار الإنسان ومعرفة الإنسان وهناك تأثير متقابل بين نوايا الإنسان، وخواطره، وصفاته، وأفكاره، ومعرفته تأثير متقابل لا تأثير من طرف واحد.

---

(١) مصباح الشريعة: ٣٠.

لنأخذ مثل هذه القصة الحادثة في غزوة الخندق فقد روي أنه عندما برز أمير المؤمنين عليه السلام لعمرو بن عبد ود العامري... فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً على ساقيه فقطعهما جميعاً، وأرتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون: قتل علي بن أبي طالب، ثم أنكشفت العجاجة فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدر عمرو قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فلم يضر به قال الحلبي: فوقع المنافقون في علي عليه السلام، فرد عنه حذيفة اليمان، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: مه يا حذيفة فإن علياً سيذكر سبب وقفته.

قال الحلبي: فسأله النبي عن سبب وقفته؟

فقال: قد كان شتم أمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلته في الله[1].

أمير المؤمنين عليه السلام لما جثم على عمرو بن عبد ود العامري وبصق عمرو بن عبد في وجه أمير المؤمنين ـ والعياذ بالله ـ أمير المؤمنين ترك قتله وقام ودار دورة حول عمرو بن عبد ود والمسلمين متعجبين، لماذا لاينتهز علي

---

(١)مناقب آل أبي طالب ج٢: ١١٥.

ﷺ الفرصة ويقضي على الإخطبوط عمرو بن عبد ود ما دام رجلاه كانتا مقطوعتين من الركبة، قطعهما أمير المؤمنين فسقط كالجمل الهائج أو كالجبل عندما ينهدم، فكيف لم يسارع في قتله فدار دورة ثم جاء وقتله أمير المؤمنين.

واضح لديكم الجواب عن هذا السؤال: لماذا لم يتسارع في قتله وتريث وأخذ دورة ثم قتله.

قال لأنه حينما بصق في وجهي أثيرت نفسي فخشيت أن أقتله بداعي وبدافع غضب نفسي فقمت فدرت إلى أن هدأت النفس، والنفس هي طبيعة تنثار وليس نفس المعصوم وإن كانت معصومة وطاهرة خالية من الغرائز، الغريزة موجودة ولذلك المعصوم له فضيلته، وله كماله، وله جدارته، وله شرفه، وله فضائله في السيطرة عليها ومن هذه الجهة أن فيه الغرائز لكن ممسك بها، متحكم بها ولا يتركها حتى تهيج، رابط الزمام بيده.

المهم قال ﷺ فقمت ودرت لكي تهدأ النفس فيكون قتلي له صادر لله ﷻ، طبعاً هذا بحث الخلوص . الا أن الكلام الآن في هذه الصفة أنه

ﷺ لم يرد أن يصدر منه الفعل في حالة كونه غضبان لنفسه، يعني قيمة العمل بلحاظ النية وبذلك أصبحت ضربة علي ﷺ يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين من الجن ولانس من الأولين والآخرين من أول الدنيا الى آخرها، وبعبارة أخرى قيمة العمل بلحاظ الصفة التي الإنسان عليها مقيم، فعندما يصدر منك فعل أنظر إلى حالتك النفسية، حالة تذلل وخضوع لله ﷻ حين أصدار الفعل بنحو صافي، عياره ثقيل.

الصلاة والنية

أما لو كانت ـ لا سامح الله ـ صفاتك النفسية تبرم، ضجر، كسل، هذا الفعل لا يساوي شيء عند الباري تعالى، القرآن الكريم يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[1] أنت تأتي بالصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى يتبرأ من هذه الصلاة التي تأتي بها، لأنك في حالة وصفة سهو، يعني حالتك الروحية ليست في حالة إقبال إلى الله ﷻ، والله ﷻ يريد منا المحبة ولا يريد منا الجفوة وأن لا نكون كالخشب ـ

---

(١)الماعون:(٤ـ ٥)

والعياذ بالله ـ؟ إنشاء الله لا نكون هكذا، بل يريد الشعور، وروح، وحياة، نقبل إتجاه الساحة الربوبية، لذلك يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يتوعد الله ﷻ يعني أن الغرض في التشريع من الصلاة نجوى ومناجاة فأن الصلاة معراج المؤمن[١]، أو نجوى المؤمن، ما معنى نجوى؟ يعني شاشة التوجه مركز التحكم في النفس يجب أن يكون مقبل على الله ﷻ، الميل الروحي، الإقبال الروحي إذا كان على شيء غير الله ﷻ في الصلاة، هذه الصلاة ليست فقط ليس لها قيمة عند الله ﷻ، بل يتوعد الله فيها المصلي بالويل، في حديث الإمام الصادق عليه السلام: (والله إنه ليأتي على الرجل خمسون سنة وما قبل الله منه صلاة واحدة، فأي شيء أشد من هذا والله إنكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم من لو كان يصلي لبعضكم ما قبلها منه لإستخفافه بها، إن الله ﷻ لا يقبل إلا الحسن، فكيف تقبل ما يستخف به؟!)[٢].

---

(١)مستدرك سفينة البحار ج٦: ٣٤٣، تفسير الآلوسي ج١٩: ٥٧.

(٢)الوسائل ج٣: ١٥، ح: ٦.

وجه الإنسان ليس هذا بل هذا وجه البدن، فان وجه الإنسان قلبه، إذا كان الإنسان عمدة وجهه وعمدة عينيه، حتى عيني الإنسان ليست هذه التي في بدنه، بل عينيه في قلبه، إذا كان في عينيه وقلبه مدبر متبرم معرض فهذا ليس متوجها الى الله عزوجل.

توجد آية أخرى في الصلاة التي من صفات المنافقين الذين يقرعهم الله ويتبرم منهم يقول الباري تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾[1]، حالة كسلان يعني ضجران فتران متبرم، قد يكون الإنسان في حالة كسل؟ كيف أنت إذا جاءك إنسان عزيز فلا تبقى حالة الكسل بل تعيد نشاطك وتزيد حالة التعبئة.

لو كان عند الإنسان صديق أو عزيز أو عزيزة ينشد الإنسان إلى العمل بمجرد ما رأى ذلك الإنسان العزيز، الكسل يجعل الفعل كالعدم. لماذا؟ لأن علامة الروح والحياة بث النشاط، أصلاً قيمة صلاة الإنسان بهذا، والإنسان الذي يقف متبرم مافائدة صلاته، أسير هو أو في حالة

---

(١) التوبة: ٥٤.

معانات. ما معنى المعانات؟ كأنما رغماً عليه يجرجر إلى العبادة، أي حالة من الصلاة هذه ! أي حالة ! أي أقبال ! أي تعامل مع الله ﷻ هـذا.

ثوب الروح

لذلك يجب على المؤمن إذا أراد أن يوصل صلاته، صيامه، أعماله، طوافه، حجه حتى الحج والطواف الى أحسن وجه، فلو كان الإنسان في حالة العمل وهو يأتي بالعمل أمام شخص عزيز عليه لا يأتي به وأخلاقه سيئة، ولا يرتدي أثواب أخلاقه السيئة، فان ثوب البدن هي هذه الأثواب المعينة.

أما الصفات النفسانية فهي أثواب الروح، إذا كانت أثواب جميلة تجذب وإذا كانت أثواب قبيحة ينفر منها الناس، الأخلاق الجميلة أثواب جميلة للروح والصفات الرذيلة أثواب قبيحة، هل يذهب الإنسان إلى محضر شخص كبير ويفعل فعلاً وفي حالة أخلاق سيئة؟! ألا يشعر بأن هذا النوع من إساءة الأدب في ذلك المحضر.

كذلك أعمالنا، مثلا طواف الحج، الإنسان يطوف ويحج وكأنه لا يطوف إلا هو أو لا يسعى إلا هو أو لا يحرم إلا هو أو ما كذا إلا هو..

ويقطر سوء خلقي مع ـ أفرض ـ الأجانب، أفرض مع بقية المسلمين من غير المؤمنين... هذه أي حالة، حينئذ هل يكون الإنسان مزدلفاً قريباً إلى الله ﷻ، في هذه الحالة يستحيل على الإنسان أن يقول أنا آتي بهذا العمل في طبق أقدمه بين يدي الباري متقرباً اليه ، إذن في الواقع هذه الحالات النفسية، وهذه الصفات النفسية مهمة جداً، صدور العمل من الإنسان في هذه الحالات النفسية أمر في غاية التأثير سلباً وأيجاباً.

يقول لقمان الحكيم وهو يوصي ولده: (... وأكثر الزاد فإن السفر بعيد، وأخلص العمل فإن الناقد بصير)[1].

ومن أحد معاني الخلوص هو أن يصدر العمل من الإنسان وهو في حالة صفات حسنة في حالة روحية حسنة، ليس كسلانا، ولاضجران، ولامتبرم، ولامتنفر، ولاساهي غير مقبل، وغيرمنشد. هذه كلها حالات نفسية يؤكد على تجنبها القرآن الكريم، أخلص العمل لله فإن الناقد بصير، الإخلاص غير مختص بقضية الرياء، كلا بل يعم النقاء من كل الرذائل.

---

(١)الأختصاص: ٣٤١، بحار الأنوار ج١٣: ٤٣٢.

هذا أحد ملفات الخلوص، أحد أوراق الخلوص، نحن دائماً نحاول أن نتجمل، لماذا نتجمل ونتأنق؟. لأنه يجذب الآخرين، نظير العطر مثلاً، والروح جمالها بالصفات النفسانية، وبالصفات الجميلة عطرها أشد.

أيضاً في حالة وفودنا على الله ﷻ في الصلاة أو في الطواف أو في السعي أو في موقفنا بعرفة أو في أي مكان إذا كنا على حالة من الطهارة الروحية فسوف يخلص عملنا من الشوائب.

طهارة الروح

المطلوب في مثل هذه الأعمال الطهارة حيث تكون الطهارة نوعاً من المشهيات أو المرغبات في هذا العمل، هذا العمل عندما يقدم بين يدي الباري، يفد به الإنسان على الباري، تكون طهارة الروح بلا ريب هي أكثر خواطر الروح، حالات الروح، هي أكثر تأثيراً، قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم)[1].

---

(١) بحار الأنوار ج٦٧: ٢٤٨.

كما ورد في أن زي الإنسان وبدنه في الآخرة يكون على هيئة أخلاقه، الآن أبداننا ليست بأختيارنا، كيفية أشكالها، وكيفية لونها، وكيفية تقاسيمها، لمحات صورنا ووجوهنا ليست بيدنا، لكن في الآخرة بيدنا، يقول الإمام علي ﷺ: (كن في الدنيا ببدنك، وفي الآخرة بقلبك وعملك)[١].

وليس فقط في الآخرة، الآن في دار الدنيا صورنا التي يراها الله ﷻ على ما هي عليه الصور الروحية هي في الواقع بتوسط نفس حالاتنا النفسانية، حالات النوايا والخواطر.

المهم في هذه الرواية الشريفة التي يشير إليها ﷺ إلى أن النية محصول الحالات النفسية وصفات الإنسان وأفكاره، الإنسان طبعاً له صفات نفسانية وله حالات، وله أفكار أو معتقدات.

الحالات النفسانية ليست ثابتة مثل الصبغ المائي ولا الصبغ الدهني، أي ليست راسخة جداً، هيئة في النفس، وشكل في النفس، وحالة في النفس تزول، يتنازعها وتغلب عليها حالة مضادة وتزول هذه الحالات،

---

(١)غرر الحكم: ٧١٦٤.

الحالات أثبت من الخواطر قليلاً ومن النيات، ولكنها أيضاً ليست في الثبات كثبات الصفات، الصفات راسخة متجذرة في أعماق النفس هذه درجات في أشكال النفس.

هناك تأثير متقابل بل متجاذب بين النية وبين هذه الدرجات في النفس، النية والخاطر، الإقبال والإدبار، كأحد أفعال النفس، النية الصالحة ـ مرت علينا أفعال النية ـ وقلنا النية ليست مجرد زعم قصد، بل النية نوع من توليد المحبة والميل النفساني، الجنوح يعني الميل، جنح يجنح يميل، النية أكثر من مجرد خاطرة، الخاطرة أضعف في حين النية أقوى، بعد النية تأتي الحالة، الحالة أقوى، بعد الحالة تأتي الصفات وبعدها الملكة وهكذا.. المقصود أن في النفس هذه درجات.

إذاً الإنسان كما يقولون التجار من فلس ودرهم يجمع الملايين، وهكذا الخاطر لا يستصغره الإنسان، صحيح الخاطر كالفلس ـ نفترضه ـ في متجر النفس، بورصة النفس، لكن هذا الخاطر عندما يتراكم يتطور الى نوايا وحالات وصفات وملكات، عندما تحرص أن تكون خواطرك

كلها صحيحة سليمة، شيئاً فشيئاً تكون نواياك حسنة، النوايا إذا لم نستصغرها ولم نهبطها سواء نية الصلاة أو نية غير الصلاة، اذ ليس

نية الصلاة فقط يجب أن تكون قربية صالحة بأن يزدلف ويفد بها الإنسان على باريه؟ كلا، بل حتى النوايا الأخرى، قيامه قعوده، ذهابه وإيابه.

هذه المباحث هي عمدة رأس مال الإنسان إذا ألتفت إليها الإنسان بإشراف من أفق أعلى في النفس، يشرف الإنسان على نفسه ويسهل عليه أنتهاج طريق المعالي، والله الموفق لأن نسلك هذه المدارج، فلا يستهين ولا يستصغر الإنسان بالخواطر، بالخواطر تتكاثر بالتالي النوايا، ويستطيع الإنسان أن يولد النوايا، بالنوايا يولد الحالات، قد يقال هذه الحالة لا أستطيع أن أزيلها، ماذا أفعل عندي تبرم، أقبل على الصلاة وعندي تبرم، أقبل في محضر معين تكون عندي حالة لا أحبذها من نفسي، حالة إقبال على نظرة حرام ـ مثلاً ـ، لا أرتكب الحرام ولكن عندي حالة من هذا القبيل ماذا أفعل لنفسي؟ أنفر من نفسي أنا في مدينة الرسول أو في مكة أو في مدينة علي عليه السلام، لماذا هذه الحالة السلبية الموجودة عندي، الإقبال

على الشيء السيء ولو بدرجة ميل، نزوع إلى الشيء الحرام، هذا صحيح بلحاظ الحال الفعلي طبعاً في حينها لا يستطيع أن يعالج الموقف.

إذاً كيف يعالج الموقف، يعالج الموقف من مسافات بعيدة، نظير تشبيه تخطيط الشوارع بالنظام الحديث، لا بد أن تلتفت إذا تريد أن تنعطف، أن تحاسب من مسافات بعيدة لكي لا يفوتك الأنعطاف يعني تحاسب مرورياً بشكل دقيق. هكذا هي النفس، أنت هذه الحالة إذا كنت لا تريدها من نفسك هذه الصفة إن كنت لا تريدها في نفسك، وعندك صدق نية وجدية أن تقلع وتعالج هذه الصفة والحالة من نفسك بإصرار مستمر من فترات بعيدة متمادية دائما بحيثً يكون عندك مراقبة دؤوبة للخاطر، الخاطر بيدك هو سهل، النية أيضاً سهلة بعد الخاطر، فحاول دائماً أن تصحح الخاطر، دائماً تصحح النية، فبالتالي ستؤثر على الحالة، إذا كانت الحالة ظلمانية سلبية تنقلب إلى حالة إيجابية، إذا كانت صفة مذمومة تنقلب إلى صفة جيدة، وبالتالي الصفات والحالات فضلاً عن الدرجة العالية وهي الملكات، وهذه مثل بناية عشرين طابق وهي خراب لا نستطيع فجأة كن فيكون تبديلها. شيئاً فشيئاً تهدم إلى أن تبني بناية جديدة، فلابد من التدرج.

أفرض إنسان ليست لديه هذه الحالات السلبية، يسمع حالات أولياء وأصفياء ويسمع عن حالات وصفات جيدة عندهم، فتنشأ عنده الرغبة لأتباعهم في هذه الحالات ويستطيع الإنسان أن يتمثل بهم والبداية هي تولد من هذه الخواطر والنيات.

من الآن بأمكانك أن تقوم بعمليات يسيرة ثم تسبق الآخرين ويصبح لديك أستثمار ضخم جداً بخطوات يسيرة سهلة عليك، بينما إذا تؤخر هذه الخطوات إلى أن يحين الأوان فسوف تكابد أعصابك وتتشنج، بينما اذا تراقب البورصة وتراقب المهنة التي أنت فيها وكيف تعدلها وبالكاد يكون أستثمار أو ربح.

بينما إذا كنت تستعد من مسافة بعيدة وبخطوات يسيرة تستثمرها جداً سوف تضمن النتيجة والعاقبةالحسنة، مثلاً لو أشترى إنسان له عقار ـ كمثال محسوس لكي نلتفت إلى أن هذا ليس فقط في عالم البدن وعالم العرض وعالم المادة، هذا في عالم الروح أكثر وأكثر ـ عقار تشتريه لك يتضاعف الآن سعره، بخطوةيسيرة جداً بشيء من التدابير الجيدة والمعدة

والمسبقة، سيكون مقدار الأستثمار الذي تحصل عليه كبير، وفي عالم الروح القضية أكثر من هذا.

ويشير الحديث الشريف إلى كيفية زرع النيات والخواطر من مسافات بعيدة ومن فترات بعيدة عند الإنسان في عمره وفي حياته كيف تثمر ثمار ضخمة جداً. فيقول: أنا عندي هذا الحظ؟ طبعاً عندك هذا الحظ لأن تدبيرك المسبق أصبح جيداً بمعية توفيق الباري تعالى، نظير ذلك الذي يصير عنده جهوزية تدبير مسبق مالي صار عنده هذا الحظ، كذلك الإنسان في حالاته الروحية.

العبد والتجري

ان نية المعصية، نية المخالفة لله ﷻ إذا تابعها الإنسان يؤاخذ عليها، أما إذا لم يتابعها ونوى فقط وأعرض عنها فلا يؤاخذ، وهذا تفصيل ورد في الروايات وفي فتوى الفقهاء وهذا البحث مرّ علينا، لكن هذا التفصيل في الروايات أو في آية أخرى لا ينافي ما في هذه الآية الكريمة:

﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾[١] وإن كانت هذه المحاسبة قد لا تكون محاسبة عقاب ومثوبة لكن هي في الواقع لها آثار، يعني نفس ما يبدي الإنسان وما يخفيه يؤثر مصيرياً على مواقفه المستقبلية وعلى نهجه ومنهاجه المستقبلي أنظر ما في قوله تعالى مع الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٢].

يعني نفس إضمار النية وإضمار الخاطرة إذا كانت خاطرة سلبية أو غير صحيحة، وهذا تقريباً موقف أعتقادي من الملائكة مع الله ﷻ وإن كان هو من قبيل ترك الأولى وليس بمعصية، لكن نفس إضمار نية من قبيل عدم حكمة الله ـ والعياذ بالله تعالى ـ أو أضمار التبرم من فعل

---

(١)البقرة: ٢٨٤.

(٢)البقرة: (٣٠- ٣٣)

الله، والأعتراض على فعل الله يجرجر الإنسان إلى مواقف يندم عليها مع الله عز وجل.

فالعبد يأتمر بأوامر المعبود بكل ما يأمر به ولا يعترض عليه حتى في الخاطر والنية.

إذن الخاطرة لا نستهين بها، فالخاطرة مهما كانت خاطرة فهي بمثابة هبوب رياح في صفحة النفس وهي ستقود الإنسان إلى مواقف فيما بعد يندم عليها. هنا يشير أمير المؤمنين إلى أن نزق الخرق أي فجائية الحدة. نزق: يعني فجأة، نزق الخرق هذه فجائية الحدة والأنفعال حيث يقول الإنسان: لماذا ذهب وقاري وذهبت هيبتي مثلاً في محفل أو غيره أو في أسرة أو في علائق أرحام أو في علائق أصدقاء أو في غيرها أنهد مني زمام الأمور، لِمَ حصل لديّ نزق يعني طفرة فجائية؟. يبين السبب في ذلك أمير المؤمنين عليه السلام: أن الذي يتحكم في الإنسان ويمانع ويُعَقِم الإنسان عن الفجائيات والطفرات في الحدة والأنفعال القنوع والقناعة، فالقنوع حالة خاطرة نفسانية، تفكير نفساني، في مقابل الحرص والطمع.

الحرص والطمع:

الإنسان إذا حرص وطمع حينئذ يندفع ويريد أن يتكالب ويكابد ويصر في الوصول إلى ما يطمح فيه. أما إذا تحرر من الحرص وتحرر من الطمع. نعم الطمع في الخيرات شيء جيد. والطمع في الخيرات إذا كان بنحويوجب حدة الإنسان وأنفعاله فليس بسديد.

فالحرص والطمع هو أساس الحدة والأنفعال وهذا ما بيّنهُ أمير المؤمنين، والخاطرة النفسانية في صفحة النفس يستطيع الانسان أن يصفيها عن الحرص والطمع، وسوف لن يحتد، ولن يشتم، ولن يسب، لن يغلط على أحد ولن يصدر منه خلاف الوقار، وما هو خلاف الوقار، الوقار جمال في سلوك الإنسان، كيف يحصل عليه الإنسان؟. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (بأزِمّة القِنُوع) والإنسان اذا تحرر من أسر طمع معين، فسوف لن ينفعل بفوته أو بممانعة آخرين له عن الوصول إليه، ولد أو زوجة أو صديق أو قريب أو بعيد أو ما شابه. وذلك إذا قنع وأقتنع الانسان بأنه لن يقدر لي إلا ما كتب الله لي.

والقنوع حالة وخاطرة جداً إيجابية. لكن هذا القنوع لا بد له من خلفية عقائدية، وهل تتوقع من نفسك أن يكون لديك قنوع بدون خاطرة ونية، هذه الخاطرة والنية التي هي ذات ثمرة وذات إيجابية وتوجب تحلي الإنسان بلباس الوقار والهيبة والحلم وما شابه ذلك مما هو بعد القناعة. والقناعة كيف تتولد؟. تتولد من خلفية عقائدية، لأن الخواطر النفسانية أيضاً وليدة أفكار عقائدية اذ هناك تلاحم وترابط حلقات وطيدة بين الأفكار العقائدية، وتولد الخواطر والأفكار الخلقية والأخلاقية ثم بالتالي مع الأعمال.

فالقنوع هو الذي يؤمن ويعتقد أنه وأن أراد الله بعبدٍ خيراً فلن يكون هناك مانع عن إصابة الله العبد بذلك الخير فأنت إذاً تجزع لماذا؟ تحرص على ماذا؟ تطمع بماذا؟ تحتد مع الآخرين على ماذا؟ وإن كان الله ﷻ لن يقدر لك ذلك الخير فسوف لن يصل اليك ولو تكالب الكل على إيصال ذلك الخير لك. إذا كان الإنسان يعيش مثل هذه الحالة النفسية وهي ليست نفسية تواكل وبطالة وعطالة، اذ لابد للإنسان أن يقوم بوظيفته من التدبير لكن ليس ضمن شره وحرص وطمع ومغالبة ومصارعة مع اعمال الآخرين، فهو برنامج حياته هكذا، وأنت الزوجة

برنامج حياتك كذا أو الأسرة كذا، أو ما يجري مجرى حالة المطاحنة والمصارعة مع الآخرين في ضمن تعقيد الحياة العصرية الموجودة. هذا الأصطدام يصبح عند الإنسان إذا فقد القناعة. ومتى يفقد القناعة؟. إذا كان يتخيل ويظن أن هذه الأسباب الظاهرية هي التي توصل إلى الآمال والغايات لا أن تقديرات الله وتدابيره هي الموصلة.

التوكل والتواكل

ففي كلام أمير المؤمنين عليه السلام: (نَزَقَ الخرق) يؤدب: (بإزِمةَ القِنُوع) لكن القنوع بماذا يحصل؟ في روايات أخرى ـ يحصل عند قوة التوكل لدى الإنسان ومعنى التوكل طبعاً مفهوم عقائدي، والتوكل غير التواكل، فهناك فرقٌ بين أن يكون الإنسان عطال بطال كسلان فشلان وبين أن يكون مثابراً بضميمة اعتماده على تقدير الباري تعالى ، يقول الإمام الصادق عليه السلام: (إن قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[1] أغلقوا الأبواب

---

(١) الطلاق: ٣.

وأقبلوا على العبادة وقالوا: قد كفينا فبلغ ذلك النبي ﷺ فأرسل إليهم فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ قالوا: يا رسول الله أتكفل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقال: إنه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب[1].

والتواكل حال يمقته الله ﷻ بأ يكون نواماً غير مجد ، بل يجتهد في وقار وفي حلم وفي خلق وفي سعة صدر. كيف تتكون عنده سعة صدر مع كونه مجداً ومجتهداً في تدبير أمور الآخرين؟.

تتكون مع صفة التوكل، وبتوسط خاطرة التوكل، خاطرة القنوع، وإلا أي أنفعال أفرض مع أسرتك مع من ترتبط معهم بالعمل بالوظيفة وغيرها، بالمجتمع وبالأرحام أي أنفعال عندك أنت دقق فيه سترى أنه لتصورك أن الطرف الآخر سيمانعك عن الوصول إلى هدفك وغايتك وبرنامجك، وهذا تصور لايطابق الحقيقة الواسعة لأن جميع زوايا الأحداث وجهات الظروف ليست بيد الطرف الآخر، هذا كله مع قيام الشخص العامل بتمام التدبير وادارة الأمور بذكاء وبمهارة. والجمع بين

---

(١)الكافي ج٥: ٨٤، ح: ٥.

الأمرين أحد معاني الأختيار وكونه أمراً بين أمرين بحسب توصيات الدين، الحدة النزق الأنفعال الطيش هو الذي لا يحبذه الدين، طبعاً هذه المعاني التي تحصل في النفس صعبة تمييزها، وكيف يميز الإنسان بين التوكل والتواكل، كيف يميز الإنسان بين التدبير والحد وبين الحدة؟!، يفكر خطأ، الإنسان أنه إذا أراد أن يكون كفوئاً مجداً مدبراً، فلا أن يحتد هذا التفكير خطأ، وأن ينفعل هذا خطأ.

التواضع

ورد في الروايات أن الإنسان متى يكون عنده طيش على الآخرين، عندما يرى أن له مقام يكبر فيه على الآخرين يطيش الطيش نفسه الخرق، فالطيش وليد أستعظام الإنسان لنفسه كبر الإنسان لنفسه، وقول أمير المؤمنين ﷺ: (القنوع). يعني لا تقيم لذاتك في قرارة نفسك كثير أستعظام وحق وأستحقاق. مثلاً عندما يقع شجار بينك وبين أبنك ترى كأنك خالقه، تريد أن تربيه تحتد عليه بشكل قاتل. أو مع الزوجة أو مع بنت أو أي واحد من الأسرة، أو غيره أصغر منك من أرحامك وما شابه

ذلك، تطيش بحدة.يقول رسول اللهﷺ: أجتنبوا الكبر، فان العبد يتكبر حتى يقول الله عزوجل أكتبوا عبدي من الجبارين[١].

الطيش من الحدة لماذا؟ لأنك ترى أن لك من الحق كأنما تستملك الطرف الآخر، هذا أستعظام الإنسان لنفسه وذاته، إذا لم يستعظم الإنسان نفسه وذاته قنع، قنع يعني يعلم أنه عندما يذهب إلى دورة المياه ماذا يخرج منه. فلماذا هذا التعاظم لذات الإنسان من نفسه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (عجبت لأبن آدم، أوله نطفة، وآخره جيفة، وهو قائم بينهما وعاء للغائط ثم يتكبر)[٢].

إذن لماذا يستعظم الإنسان نفسه أو كما في دعاء السجاد: (اللهم ما نشرت لي من منقبة) أو: (السؤدد في الناس فحططني في نفسي بقدرها)، لكي يصبح توازن عند الإنسان، لا يستعظم ذاته في مقابل الآخرين. فإذن حالة التواضع وخطورة التواضع والتذلل في النفس هذه عبارة عن مفاد كلام أمير المؤمنين عليه السلام. في دعاء الصباح (القنوع) الذي يقنع لذاته بالشيء

---

(١)نهج البلاغة: الخطبة (١٩٢).

(٢)الوسائل ج١: ٣٤٤، ح: ٤.

اليسير، إذن لا يستعظم لنفسه حقوق ولا يرى لنفسه أستحقاقات كثيرة على الآخرين تفوق الآخرين، ولا يصبح عنده أنفعال، ينفعل لماذا وكل شيء فيه ملك الباري تعالى وليس له من نفسه وذاته شيء؟!.

إحدى الأسر كانت لديهم بنت متدينة جداً ووالديها ما كانوا بتلك الحدة من التقيد بالمسائل الشرعية بالدقة جداً، وكانت البنت ترى لنفسها على الوالدين حق أكثر بأعتبار طابع التدين لديها أكثر وما شابه ذلك ؛ ففي جلسة ذكرت للبنت أن سر حدتك على والديك والعياذ بالله انك وان كنت في مسار التدين والدقة والألتزام وما شابه ذلك ولكن ترين لنفسك أستحقاقات أكثر على والديك وأن حقوقك أكثر من أستحقاقات والديك على نفسك ومن ثم يظهر منك الطيش والحدة على والديك، وفعلاً رجعت إلى قرارة نفسها ووجدت الحالة النفسية هكذا.

فالإنسان متى يطيش سواء على والدته أو على والده أو على صغير أو... لما يرى لنفسه أستحقاقات أكثر سيعظّم من نفسه. إذن لا يقنع لنفسه بالحق الدوني أو الأستحقاق الدوني أو ما شابه ذلك يتعاظم لنفسه أمور،

ومن ثم تصدر منه الحدة والأنفعال وذهاب الوقار والطيش وكأنما يريد التوسع في سلطان نفسه بأعتبار يرى لنفسه هذا السلطان .

إذن هذه الأفعال أو هذه الصفات وليدة الخاطر ونية مُبيّتة، لا تظن من نفسك أنك تطيش على والداك أو على والدتك أو على أبنك فجأة. هي نتيجة قناعة، يوجد تفكير ونية وخاطرة مُبيّتة لديك إذا أصلحت ذلك الخاطر فستنال الحلم ويذهب عنك الحدة والتعصب كما في نص كلام أمير المؤمنين ﷺ تأديب هذه الحالات (بإزمة القنوع). إذن يتم بقضايا الخواطر والدواء والمرهم والعلاج لكثير من حالات الإنسان هو بتوسط وتفحص الخاطر. كما أن هناك عملية أختبار لضغط الدم فكذلك الفحص للنفس، إذا أردت أن تفحص كثير من الأمور في ملفات عقل الإنسان أو في روح الإنسان أو في قلب الإنسان هذه الملفات موجودة ومخزونة في ملفات الخواطر والأفكار. حينها يصدر منك فعل معين تقول كيف صدر مني هذا الفعل هو في الواقع العجب ليس من صدور ذلك الفعل، بل العجيب من عدم إلتفات الإنسان وفحصه عن هذا الملف في خزانة نفسه الذي أولد هذا الفعل. هذا الملف ماذا به من أفكار ماذا به من خواطر.

إذا أستطاع الإنسان أن يفحص الفيروس الموجود في هذه الخواطر والأفكار المخزونة في الملفات ؛ في ذهنه ؛ في أعماق نفسه وفي قلبه حينئذ يصل الى المعالجة ودوماً هي بالأفكار لحالات النفس، ودوماً بأن تكسر قناعات النفس الخاطئة إلى قناعة أخرى صائبة تزيل وتبيد الإذعان والتمسك والتشدد بفكرة معينة خاطئة تصدم النفس، مثل الفرس الذي لا يروض يجمح دائماً ويتمرد وتمسكها لتقول لها لا خطأ، لاتجزمين ولاتتمسكين ولاتتشددين في هذه القناعة الخاطئة.

هي كالدابة، ولايخفى أن النساء أيضاً لهم نفوس كالرجال ؛ فالنفس كالدابة الطائشة، القناعات هي التي تُسيّر الإنسان، والخواطر والأفكار هي التي تولد القناعات، فبالحوار العقلي مع النفس، تكرر الخطاب معها إلى أن تكسر قناعتها الخاطئة، وإذا أستطعت أن تكسر قناعتها الخاطئة سوف تكبحها وتسيطر عليها وتروضها بيسر.

أنت لما تخاصم واحد آخر تحس أن عنده فكرة خاطئة قناعته بشكل آخر لابد أن تزلزلها باستدلال وببرهان وببيان بليونة وبعذوبة إلى أن يلين من تشدده في القناعة الخاطئة، النفس هكذا لابد أن تحادثها وتخاطبها

وتراوغها وتأخذ وتعطي معها حتى بالكاد تتنازل عن قناعتها وعن تشددها وإلا هي دائماً متمسكة وتقول: لي وأني وكذا.. وهلم جرى.

قائد الأمل والمنى

لقطة أخرى في دعاء الصباح أيضاً يشير فيها عليه السلام إلى أن حالات الإنسان وأفعاله ناتجة من الخواطر والقناعات إذا لم يستصلحها الإنسان فهي تتواجد وتتراكم كجبل من الخطايا وقوله عليه السلام: وإن أسلمتني أناتك لقائد الأمل والمنى فمن المقيل عثراتي من كبوات الهوى. أناة الله تعني حلمه وهو أستدراج وهو أخطر من الحوبة لأن بعض الأحيان يحوب الله عز وجل الإنسان: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيدِيكُمْ﴾[1]، المصيبة أداة وعصاة الهية وهي رحمة إلهية لأنه تنبه وتربي وتأدب الإنسان، شبيه بعصا المعلم في المدرسة فهي تيقظ الانسان عن التمادي في الخطأ، ولكن إذا لم يواجه الإنسان العصا الإلهية: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ

---

(١)الشورى: ٣٠.

سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[١]، وأما إذا لم يكن لله ﷻ في هذا المقام تأديب للعبد بالحوبة، بل كان امهال حينئذ تسلم أناة الله وحلمه. وطول أناته ودعته وإمهاله يسلم الإنسان إلى كل خاطرة أمل مردية مهلكة في قبالة القنوع والقناعة، كل خاطرة أمل يتسلسل منها خواطر للإنسان وسيستسلم وسيسلس الأنقياد لتلك الآمال وتلك الخواطر فلا يتبين الإنسان لنفسه بصيرة في تلك الخواطر التي هي كلها آمال... آمال مجوفة سراب بقيعة تأخذ بالإنسان إلى برامج لا تخدم حقيقة مستقبل الإنسان وإنما هي تخدم وتدغدغ الخيال فقط، يظن الإنسان منها لذة روحية والحال هي دغدغة خيال ليس إلا دغدغة سراب.

العقوبة الإلهية

(وإن أسلمتني أناتك لقائد الأمل والمنى فمن المقيل عثراتي من كبوات الهوى) لأن الهوى يتبع الأمل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ

---

(١)الفجر: ١٢ - ١٣.

الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[1]، أي على حالة الأمل وً الآمال بلحاظ الأهواء وهي نابعة من خواطر، هي طاقات محركة للإنسان قدرات تحكم في الإنسان غريبة وعجيبة وخطيرة، بينما إذا واجه الإنسان عصى إلهية وسوط إلهي فيفيق ويصحى، أما إذا لم يواجه عصى إلهية وحوبة إلهية كما يقال الإنسان سيسترسل وهذه حالة خطرة. مثلاً قد يبتلي بمرض يبتلي بشيء معين وهلم جراً، لكن لماذا الإنسان يسلم نفسه ويوقعها الى وضعية يحتاج فيها الى أن يؤدب (إلهي لا تؤدبني بعقوبتك)[2]. لِمَ الإنسان يطلب من الله التأديب بالعقوبة، الإنسان يمكن أن يؤدب نفسه بطريقة أخرى، (وأدب اللهم نزق الخرق مني) الأدب الذي يطلبه أمير المؤمنين ماذا؟ هل بالعقوبة؟ كلا.. قال: (أدب اللهم نزق الخرق مني بأزمة القنوع) بإصلاح الخواطر، يعني بإصلاح الأفكار بإصلاح النوايا، هذا التأديب جيد ونافع كثيراً، ولا بد ندعوا الله ﷻ دائماً ونطلب صدق

---

(١) النازعات: ٤٠.

(٢) مصباح المتهجد: ٨٢، الصحيفة السجادية، دعاء السحر.

النية وإخلاص النية وحسن السريرة ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[1]، إذن هذا رأس مال خطير، المهم أصله في سريرة نفسه وخاطرته، هذا طريق سليم ووقائي ليس فيه مهالك، سهل عجيب بالأفكار فقط ومجاني لا تحتاج إلى أي مؤونة ولا تحتاج إلى مكابدة بدنية وجهد نفساني في الغرائز.

هذه التي نستسهلها ونحن نستصغرها هي أخطر شيء، هي قدرة التحكم في مصير الإنسان المستقبلي في العوالم الأخرى (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)[2]، أنت حتى لو تريد أن تروض عضلاتك وبدنك على العبادات وبطنك على الصوم وبدنك على الحج وغيره وغيره هو لأجل إصلاح الأفكار، يعني الأفكار التي هي تصدر الأعمال.

فالذي لديه برنامج مهم فاحص في الكمبيوتر برنامج متفحص يفحص عن الفيروس يفحص عن البرامج ويفحص عن أشياء أخرى إذا صار عند الإنسان برنامج فاحص في أفكاره وقناعته حينئذ يؤدب بطريقة جداً سليمة وسالمة.

---

(١)طه: ٧.

(٢) رياض السالكين، ج٣، ٥٨٨.

أما إذا يؤدب الإنسان بالعقوبة ـ الله هو المعين اذا كانت العقوبة أخروية ـ يوجد من يؤدب بالعقوبة الأخروية وينجو من النار فيما بعد أحقاب. الناجين من النار يعني يتأدبون بها مدة من المكوث المرير فيها، وبعبارة أخرى مرضهم الذي حصل لهم بالأعمال السيئة لايشفون منه الابذلك ويخرجون من النار لكن عولجوا بماذا؟ أدبوا بماذا؟. بالعقوبة الأخروية ـ أعوذ بالله ـ. حتى العقوبة الدنيوية إذا أستطاع الإنسان أن لا يكون برنامج الله معه التأديب بتوسط العقوبة الدنيوية فهذا الإنسان ذو حظ عظيم، أدب بماذا؟ بالأفكار بالخواطر: (وأدب اللهم نزق الخرق مني بأزمة القنوع) أما: (إلهي لا تؤدبني بعقوبتك) فالحيوان الذي ليس لديه تفكير يروض ويؤدب بالضرب ؛ أما الإنسان المفروض أنه في القمة، فالميزة المهمة الممتاز فيها الإنسان عن بقية الكائنات هو التفكير أو عقله. ولذلك فان قدرة التحكم في الإنسان هي هذه النوايا والخواطر وهو أمر جداً مهم.

دقة الخواطر

أيضاً مقطع آخر يشير فيه عليه السلام في دعاء الصباح إلى خطورة الخواطر، أصلاً أكثر دعاء الصباح وأكثر أدعية الأئمة عليهم السلام هي نوع من الفحص، والتربية، وتعبئة الإنسان، ودق جرس الخطر لدى الإنسان في الأفكار والقناعات والخواطر لدى الإنسان. أكثر الأدعية لا تعالج الأعمال بما هي أعمال بل تعالج الخواطر النفسانية. وتفند الخواطر الخاطئة وقناعة النفس وتعصبها وتبدلها بخواطر صحيحة.

أنظر للكمبيوتر الحاسوب كمثال، الكمبيوتر طبيعته جهاز علمي لا يسير مثل بقية الأجهزة الأخرى، كيف تضع فيه برامج يسير عليها. ولايتخلف عنها، الكمبيوتر لو كان يدير صواريخ نووية، أو غواصات نووية، أو يدير بارجات حربية، ويدير أقمار صناعية، ويدير مصانع، ويدير طائرات في الطيران هبوط وإقلاع.

الكمبيوتر الحاسوب لايعطيك نشاطاً وفعالية إلا ببرنامج علمي، إذنْ البرنامج العلمي أساس منطلق مهم جداً في الكمبيوتر أليس كذلك، هكذا الإنسان أيضاً.

بل أعظم من ذلك ولا يمكن أن تتوقع منه فعل يصدر أو لا يصدر إلا بالبرنامج العلمي، الذي هو الأفكار والقناعات، والخواطر التي في الإنسان، وهذه المشكلة الشاكلة لدى الإنسان الذي لا يلتفت إلى هذه البرامج العلمية التي يخزنها في حافظته. في عقله الباطن من أفكار وخواطر، وأكثر الأدعية تحاول أن تصب في مداواة ومعالجة هذه البرامج العلمية، كما هو الحال في أن تجعل الكمبيوتر وتصبح فعالياته نشطة وتجعل فيه برامج، تصفي أو تنسق البرنامج وتبوب وتعيد التشغيل بأستمرار، كما أنه عملية التصفية وإعادة التبويب للملفات بنحو مستمر يصير الحاسوب أكثر نشاطاً فبنحو متكرر ومستمر تجري له محاسبة وتصنع له الفايلات وطرد فايروسات.. الخ.

الإنسان أخطر وأخطر من أعادة تشغيل الحاسوب وتصفيته، أصلاً محاسبة الإنسان لنفسه ليس محاسبة أعمال أكثر مما هي محاسبة قناعات وخواطر وأفكار، وهي ندوة فكرية يعقدها الانسان دائماً مع نفسه، في مجالات عديدة وأكثر مما هي محاسبة قناعات وخواطر مما هي محاكمة ومجابهة، إذا كان هذا الجهاز في الإنسان وهو جهاز محاسبة الأفكار، محاسبة الذاكرة، محاسبة الخواطر النوايا، يحاسبها أي يوزنها، إذا كان

الانسان فاعل بحيوية لترشيد نفسه، أما إذا كان الإنسان متغافل عن ذلك فيجيء لك في أنترنت المعلومات الفكرية ويدخلون لك ببرامج تحرق الذاكرة كصور الفاحشة وغير ذلك قضايا تؤدي إلى حرق كل البرامج التي عندك، الشياطين والجن هكذا يصنعون في البريد الألكتروني في الإنسان، حتى في النوم وفي الرؤيا التي يريك إياها فيها قناعات خاطئة، ربما يستغيظك ويختزن فيك عداوة على أخيك أو على زوجتك أو على أبنك أو على رحمك أو على قريبك أو على صديقك حتى في حلم المنام يخزن فيك معلومات خاطئة، أنت إذا قمت في الصباح ولم تشغل برنامج ضد الفيروسات مرة واحدة تحدث لك حالة نفرة من الطرف الآخر، وقد ذكرنا سابقاً بحث السحر وبحث العزائم وهذه الأمور الغريبة والجن والشياطين وغيرها كلها في الواقع ترتبط بالأفكار. فيقول: أنا مسحور أو أنا مضروب بعين، وأنا محسود أو أنا.. أنا... وليكن جهاز التحكم في نفسك من قبل أرادتك ومراقبة ذاتك للأفكار والحالات، لا من قبل الآخرين ولا من قبل أي واحد؟! بل من قبل أفكارك خواطرك نواياك، إذا أصبح لديك قدرة تحكم وقدرة فاحص وبرنامج فحص للأفكار. والخواطر لا يستطيع أحد أن يؤثر فيك أو يؤثر عليك.

الثوب القبيح

التعبير في دعاء أمير المؤمنين ﷺ في مقطع آخر: (إلهي أتراني ما أتيتك إلا من حيث الآمال)، الإنسان قد يقبل على الله ﷻ لكن بزي قبيح يقبل على الله ﷻ. ما هو الزي القبيح؟ بدل أن يقبل على الله ﷻ من باب الطاعة والتذلل والوقار للعظمة الإلهية يقبل على الله بالتمني.

مثلاً: عندك ابن أو زوجة أو زوج مع زوجة أو صديق لصديق يسيء العمل ومع ذلك يزداد توقعه منك أكثر رغم أسائته لك. أنت ماذا تقول؟! تقول هذا بطران بطر عجيب، هو يسيء المعاملة ويستخف بحقوق المعاملة والأدب وعلاوة على ذلك يتوقع مني الإحسان، أليس هذا بطران؟!.

أنت تنظر له أنه بطران، بطران أي مستعظم لنفسه والحال أنه وضيع أو لا يستحق شيء ويتعاظم لنفسه بان لها استحقاقات أخرى، ومن الخطأ جداً أن يقبل الإنسان على الله ﷻ فقط من حيث الآمال، يأمل من الله الأشياء والحال أنه لا يراه الله حيث موطن الطاعة والتذلل. كما في الحديث الذي ورد عن أمير المؤمنين ﷺ: (لا تحصل الجنة بالتمني)، إذن

الأقبال على الله ليس بالتمني. أنظر هذه حالة الأمل مع سوء العمل، هذه حالة رديئة جداً وثوب قبيح جداً إذا أردت أن تفد على الله ﷻ به وهذه أيضاً حالة نفسانية وخاطرة نفسانية مؤثرة جداً على مصير الإنسان.

(إلهي أتراني ما أتيتك إلا من حيث الآمال) لا من حيث: (أعوذ بك من سخطك)[1] أو: (أللهم أغفر لي الكثير من معاصيك وأقبل مني اليسير من طاعتك)[2] أو: (مواضع سخطك) فالإنسان يراه الله في مواضع سخطه ﷻ ومع ذلك يقول رجائي بالله كبير، كيف يكون صادقاً في ذلك؟

هذا نوع ـ والعياذ بالله ـ عدم رعاية للوقار مع الله ﷻ والأستخفاف بمقام الربوبية، هذا كالذي يستغفر من الذنب ويقيم عليه، وهذا حال ـ والعياذ بالله ـ من لا يراعي الأدب مع الله ﷻ، ويستخف في المعاملة مع مقام الرب تعالى.

---

(١) الحدائق، ج٣: ٣٦٣.

(٢) مصباح المتهجّد: ١٣٠، نافلة الليل.

فالإقبال على الله ﷻ حتى من حيث الخواطر والحالات له شرائط له ألبسة: (إلهي أتراني ما أتيتك إلا من حيث الآمال أم علقت بأطراف حبالك إلا حين باعدتني ذنوبي عن دار الوصال) حين تباعده الذنوب عن دار الوصال مع الله ﷻ، الوصالة، الوصلية، الصلة، الزلفى، القرب، كلها يعبر عنها بالوصال، حينما تباعده الذنوب يتعلق الإنسان بالله تعالى، هذه ليست حالة يقبل العبد فيها على الله.

العقائد والخواطر

المعاد وحقائق مجهولة:

يقول النبي ﷺ: (ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل)[1]: وهذا بيان من الوحي، أن العالم العقلي أعظم من العالم النفساني، واعظم من العالم البدني، بل أعظم حتى من الجنة ومن حور العين والقصور والغرفات، ولذلك نلاحظ من خلال هذا البيان أن هناك جملة من المحققين يقولون أن جزاء العقائد الحقة ليست هي الجنة، لأنه إذا كانت

---

(١) الكافي ج١: ١٢، ح:١١.

العقائد الحقة التي ترتبط بالعقل وإدراكاته وبأمور فوق عالم الأجسام وهي أفضل من الجنة الجسمانية فكيف يكون المفضول جزاء للفاضل؟!

فالفاضل جزاءهُ فاضل أو ما هو أفضل.

إذن الجزاء في البرزخ أو الجزاء في يوم الجزاء من الجنان ليست جزاءات للعقل بل هذه جزاءات الأعمال البدنية أو الأعمال النفسانية ولكن بشفاعة وهيمنة العقائد الحقة وأن العقائد الحقة شرط في هذا الجزاء.

روي أن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال لهم: هلمَّ قلت إلى أين، قال إلى النار والله، فقلت: وما شأنهم، قال: إنهم قد أرتدوا على أدبارهم القهقري ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال لهم: هلمَّ فقلت إلى أين؟ قال إلى النار والله، قلت ما

شأنهم قال إنهم قد أرتدوا على أدبارهم، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم[١].

وفي حديث آخر عنه ﷺ: يرد على الحوض يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلؤون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي، فيقال إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم أرتدوا على أعقابهم القهقري[٢].

وهنا يبين الإمام الرضا عليه السلام سبب هذا الحؤل، حيث روي أنه سئل الإمام الرضا عليه السلام عن قول النبي ﷺ: أصحابي كالنجوم بأيهم أقتديتم، وعن قوله عليه السلام: دعوا ليّ أصحابي، فقال عليه السلام: هذا صحيح يريد من لم يغير بعده ولم يبدل، قيل: وكيف يعلم إنهم قد غيروا أو بدلوا؟ قال: لما يروونه: من أنه ﷺ قال: ليذادن برجال من أصحابي يوم القيامة عن حوض كما تذاد غرائب الأبل عن الماء، فأقول: يا رب أصحابي أصحابي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؟ فيؤخذ بهم ذات

---

(١)البخاري ج٧: ٢٠٨. كتاب الرقاق، عمدة القاريءج ٢٣: ١٤١، ح: ٥٨٥٦، كنز العمال ج١٤: ٤١٧، ح: ٣٩١٢٤.

(٢)المصدر السابق.

الشمال، فأقول: بعداً لهم وسحقاً لهم أفترى هذا لمن لم يغير ولم يبدل[1]. والظريف إن في بعض تلك الروايات يسأل الراوي الإمام عليه السلام أنه كيف وصل هؤلاء الذين بدّلوا وأحدثوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قرب الحوض، فيجيب عليه السلام: أن وصولهم إلى قرب الحوض هو بسبب ماكان لهؤلاء من سوابق مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فإن وصولهم إلى الحوض يعني تجاوز عقبات لعالم يوم القيامة، وهذه السوابق التي كانت عندهم أحبطها الله بلحاظ جزاء الجنة ولم يحبطها بلحاظ عالم يوم القيامة وقد لا يحبطها حتى بلحاظ عالم البرزخ.

ولذلك ورد في الروايات كيفية قبض روح الكافر أو روح المؤمن، فعن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن آية المؤمن إذا حضره الموت يبيض وجهه أشد من بياض لونه، ويرشح جبينه، ويسيل من عينيه كهيئة الدموع فيكون ذلك خروج نفسه، وإن الكافر تخرج نفسه سيلاً من شدقه كزبد البعير، أو كما تخرج نفس البعير[2].

---

(١)عيون أخبار الرضا ج٢: ٩٣، ح: ٢٠٣٣.

(٢)البحار ج٦: ٣١٧ ح: ٣٤.

أو كما يقول الصادق عليه السلام:... للمؤمن كأطيب طيب يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم عنه، والكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشد[١].

الخواطر يوم القيامة

ولكي يزيد الله من ثواب المؤمنين يشدّد عليهم في الإمتحان، ففي بعض الروايات أن هناك حالات وخواطر قلبية تجري على أهل عرصات القيامة، فإنه عالم أطول عمراً من الدنيا والبرزخ وليس هو يوم واحد، فعن أبن مسعود قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إن في القيامة لخمسين موقفاً كل موقف ألف سنة[٢].

---

(١)المصدر السابق ح: ٥٠.

(٢) البحار، ج٧: ٧١، ح:٤٢.

وكأنما عرصات يوم القيامة أمتحانات الخواطر القلبية المعرفية: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[١].

فهناك أمتحان أصعب، فالقلب هناك يميل إما نحو رجاء الله ﷻ أو اليأس من رحمة الله، روي أن رسول الله ﷺ قال لجبرائيل عليه السلام: كفى بالموت طامة[٢] يا جبرائيل ! فقال جبرائيل: ما بعد الموت أطم[٣] وأعظم من الموت[٤].

فيوم الخلاص ليس في البرزخ وينتهي الأمر، بل توجد أمتحانات شاقة يوم القيامة، نعم توجد هناك منازل أستراحة ولكن المسافة طويلة، ربما أنت تصلي صلاة كثيرة ولكن ماذا تفيدك مجرد هذه الصلاة إذا ساء ظنك بالله تعالى في عرصات يوم القيامة.

---

(١) الحج: ٣٢.

(٢) الطامة: الداهية تفوق ما سواها.

(٣) أي أعظم وافقم.

(٤) البحار، ج٦: ٣٠٢، ح:٢.

ومن ثم قد تسأل سؤال وهو أن العقائد أي جنة جزاؤها؟ إن جزاءها فوق الجنة، يذكر الشيخ الصدوق أن بعض أنواع الجزاء لبعض أهل الجنان هي بحور من أنوار الأسماء الإلهية يسبحون فيها حيث يقول:

منهم المتنعمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره في جملة ملائكته[1].

فأحوال القيامة ليست هي جزاء بل هي أمتحانات الخواطر والأحوال القلبية وليس أحوالاً نفسانية يعتمد على جهاز التحكم في الأفكار والخواطر القلبية إذ عنوان الشأن التكويني وشعار حال يوم القيامة هو ماقاله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[2]، أي تمتحن سرائر الناس التي هي عبارة عن أحوال نفوسهم بل ماهو أكثر غوراً من حالات النفس وهو مرتبة السر في القلب ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[3]. فالأبتلاء هو أمتحان وليس جزاء وإثابة، ثم ليس السرائر أعمال البدن بل هو شؤون الروح والقلب.

---

(١) الأعتقادات للصدوق: ٧٦.

(٢) الطارق: ٩.

(٣) طه: ٧.

ففي مجمع البيان: والسرائر أعمال أبن أدم والفرائض التي أوجبت عليه، وهي سرائر بين الله والعبد و ((تبلى)) أي تختبر تلك السرائر يوم القيامة حتى يظهر خيرها من شرها ومؤديها من مضيعها[1].

قال تعالى: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾[2]. إن هذه الآيات تشير إلى أن غاية البعث من القبور هو تحصيل مافي الصدور أي حالات وخواطر ونيات وما عقد عليه القلب من قناعات، واليوم أشارة إلى يوم القيامة والذي تقدم إنه أشارة إلى عالم يوم القيامة الذي هو أطول أمداً من عالم الدنيا، فعالم النشأة للقيامة أختبار لما في الصدور، وأن الأعمال في دار الدنيا إعداد لأمتحان أكبر وهو ما تحويه الصدور من شؤون، فأسم الخبير متحد مع مادة لفظة الأختبار الذي يعن الأمتحان، وكأن ثمرة أمتحان الدنيا في الأعمال هو أمتحان عالم الآخر في الأحوال والميول النفسية والأفعال القلبية.

---

(١) نور الثقلين، ج٥: ٥٥٢.

(٢) العاديات: ٩ — ١١.

فإذا أتتك أهوال يوم القيامة هل يبقى رضاك بالله باق أم يزداد سخطاً - والعياذ بالله - لأنه الفزع الأكبر بطبيعة الحال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[1]، وهل سيبقى حسن ظننا بالله؟! وهل سيبقى رضانا النفساني بالله أم سيتبدل إلى سخط، وإذا تبدل إلى سخط فهل يدخل الجنة ويكون من أهلها؟ عقلاً لا يمكن ذلك.

خواطر النبي يونس عليه السلام:

فلو لاحظنا موقف يونس عليه السلام فكما أن الله عظيم فرسله وأنبياءه عظام أيضاً يقول تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[2] فقد التقمه الحوت وبقي في بطنها ثلاثة أيام ثم لفظه الحوت وقد ذهب جلده وشعره كما يقول الإمام الرضا عليه السلام[3].

---

(١)الزلزلة: ١.

(٢)الصافات: ١٤٢.

(٣)البحار ج١٤: ٤٠١، ح: ١٤.

وهو باق على إيمانه بالنبوة، ولم ينفذ صبره، بل كان يسبح الله ﷻ: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ﴾[١]، أنظر إلى هذه الرقة التي هي رقة تعبد العبد إلى رب عظيم، مع أن الحوت لم تجلس النبي يونس ﷺ على سرير مخملي وفي بستان من حديقة الورود، بل وصل الأمر إلى أن جلده تمزق: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾[٢]، ومع كل هذا كان يناجي ربه ـ كما يقول الإمام الصادق ـ الحمد لله، يا رب من ذا الذي أنعمت عليه وأوليته مثل ما أوليتني[٣]؟!، لا كما أستفز أبليس، فإنبياء الله قدموا أمتحانات الفزع الأكبر وهم في الدنيا، فيوم القيامة لا بد من إعداد مثل هذا الصبر، كما حدث للنبي يونس ﷺ حيث يمر في زلزال نفسي ويقول: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ﴾.

---

(١)الإنبياء: ٨٧.

(٢)الصافات: ١٤٦.

(٣) البحار ج١٤: ٤٠٣، ح: ١٦.

عود على بدء:

بعد ذلك يواصل أمير المؤمنين ﷺ: (فبئس المطية التي أمتطت نفسي من هواها فواهاً لها لما سولت لها ظنونها ومناها)، إذن مركز المعصية ومركز السيئة والسلبية عند الإنسان هو الظنون والمنى أي الخواطر والنيات أي: (فواهاً لها لما سولت لها ظنونها ومناها)، فإن الإنسان إذا كان لا يراقب الخواطر والنوايا والأفكار يقع في الواهية وبالتالي يحصل لديه التمرد: (وتباً لها لجرأتها على سيدها ومولاها)، الجرأة والتمرد والرعونة والفرعنة في ذات المخلوق كإبليس. مع الله، إبليس لا يلتفت لنفسه وهذا درس لنا وعبرة كم هو الآن صار ضحية ولكن أيضاً يصير عبرة لنا نقرأ في أدعية الطواف فقرة: (يا من أستجاب لأبغض خلقه إليه إذ قال أنظرني إلى يوم يبعثون)[1]، يعني بعبارة أخرى الأنكسار إلى الله والتخاضع إلى الله حالة نفسانية حتى مع تكبل الذات المخلوقة بأردى الصفات أفضل من العدم، لأن مهما كان سوء قباحة حاله يقول إبليس ربي أنظرني ربي ربي نفس هذا يثير الرحمة الإلهية، عندما يقول إبليس

---

(١) جامع أحاديث الشيعو، ج١١: ٢٩٣، مناسك الحج، أدعية الطواف.

نفسه ربي نوع من التخاضع والخضوع هو يتخاضع في تمرده يطلب من الله بأن يتمرد، مع إن هذا أيضاً قبيح: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يريد أن يغوي بني آدم، مع كونه في تمرده وإن كان قبيحاً ولكن تمرده ممزوج بإنكسار لله، هذا المقدار من النسبة المئوية من الخضوع هذه الحالة النفسانية والخواطر أوجبت أن الله ﷻ يستجيب لإبليس، وهذه الحالة ربما كانت وليدة صورة السجود السابق في السماء الذي قام به .

وإن كان في الروايات لدينا أيضاً أن سر أستجابة الله لإبليس هو سجوده، وإن كان سجوده سجود الثعلب وسجود العقرب يعني باطن سجوده هو طغيان وتتعاظم ذات نفسه لنفسه فيقول من مثلي فيدلل على الله، يعني يتدلع على الله ؛ الدلال باللغة الدارجة يتدلل، يتدلع يعني يرى نفسه أنه كريم على طرف أي هو يستحق على الطرف الأخر، هذا الدلال أيضاً تعاظم نفسي العابد عندما يتدلل على ربه في عبادته فهو تعاظم نفسي يرى في نفسه العظمة أنه يأتي بهذه العبودية فله الحق على الله. هذا ليس عبودية لأنه باطنه كبرياء وليس عبودية، الدلال في العبادة

باطنه كبرياء خفي، فباطنه نقيض العبودية باطنه الفرعونية، يعني تتعاظم الذات لدى الإنسان لنفسه.

ومع أن إبليس كان في باطن عبادته متمرداً بلحاظ نيته وخاطره ولكن صورة الإنكسار حتى مع الله ﷻ شريفة، أي درجة من درجات الإنكسار لها شراقة، الشاهد على أي حال أنه: (وتباً لها لجرأتها على سيدها ومولاها)، مر بنا أن عمدة العصيان هي النية، أصلاً المعصية سميت معصية للتمرد في النية والخاطر، المعصية ليست فقط لفعل البدن، فعل البدن وإن كان معصية فهو هين إلا أن الأعظم قبحاً في مجموعة المعصية هو تمرد الخاطر والنية في الإنسان عصبية الإنسان لأن يرى لنفسه أنه يستحق هذا الفعل، فعل الحرام مثلاً، الفعل الذي يتمرد به على الله ﷻ، الجرأة في خطورتها ليس في العمل البدني، الجرأة في خطورتها في الخاطر والفكرة، حينئذ مربط ومربض الفرس في الإنسان وبرج التحكم في الخواطر هو النوايا.

وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.
٢- الأختصاص، أبي عبد الله محمد بن النعمان العبكري البغدادي المفيد.
٣- أعلام الدين، الحسن بن أبي الحسن الديلمي.
٤- الكافي، الشيخ الكليني.
٥- المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي.
٦- البحار، محمد باقر المجلسي.
٧- الوسائل، محمد بن الحسن الحر العاملي.
٨- الصحيفة السجادية، للإمام السجاد (عليه السلام).
٩- الأعتقادات، محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق.
١٠- كنز العمال، المتقي الهندي علاء الدين علي المتقي.
١١- مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق (عليه السلام).
١٢- عمدة القارئ، العيني.
١٣- عيون أخبار الرضا، محمد بن علي بن بابويه الصدوق.
١٤- ميزان الحكمة، محمد الريشهري.
١٥- مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي.
١٦- مسند الشهاب، لأبن سلامة القاضي أبي عبد الله محمد.
١٧- مناقب آل أبي طالب، لأبن شهر أشوب.
١٨- مصباح المتهجد، العاملي الكفعمي.
١٩- تفسير الآلوسي، محمود البغدادي الآلوسي.

٢٠- تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي.

٢١- تظلم الزهراء (عليها السلام)، رضي بن نبي القزويني.

٢٢- غرر الحكم، عبد الواحد الآمدي التميمي.

٢٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل.

٢٤- شرح نهج البلاغة، لأبن أبي الحديد.

٢٥- نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروس الحويزي.

الفهرس